

الشَّهِيدَ آيَةَ اللَّهِ دَسَّغْنَا

النفس المطمئنة

ترجمة
السيد أحمد القبايجي

الدار الإسلامية
بيروت



الفصل طينته

حقوق الطبع محفوظة للناسر
الطبعة الثالثة
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

كورنيس المزرة / بناية الحسن سنر / الطابق الثاني
هاتف ٨١٦٦٢٧ / ص . ب : ٥٦٨ / ١٤
فرع ثاني : حارة حريك - مفرق الحلباوي / هاتف ٨٣٥٦٧٠



النفس المطمئنة

تأليف
الشهيد آية الله دستغيب

ترجمة
السيد أحمد القيانجي

الدار الإسلامية
بيروت

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

« لا تقولوا ماذا قدمت لنا الثورة ، بل ماذا قدمنا نحن
للثورة » .

هذه الكلمة الحكيمة بوجهها إلينا حكيم الثورة الإسلامية
ومعلمها الرباني الشهيد المطهري رضوان الله عليه ، وهي على
بساطتها تحمل أرفع المعاني في طياتها .

إنه يرسم لنا بوضوح ويحدد لنا الميزان الذي يجب أن نتعامل به

مع ثورتنا ومع إسلامنا ، وهذا الميزان وهذا الموقف العملي من الثورة يختلف عن جميع مواقف الثوار من ثوراتهم ، حيث دأب أصحاب المبادئ والثورات أن يتعاملوا بمبدأ الأخذ والعطاء . . إنه يعطى لثورته ومبادئه بقدر ما يستفيد منها ويعود عليه بالنفع في آخر الخط . .

وليست الثورات التي قامت في بعض أرجاء العالم ببعيدة عن الأذهان . . ويعرف الجميع ما انتهت إليه الثورة الفرنسية والروسية وغيرهما من تكالب وتناحر على السلطة . وكذلك نعرف ما انتهى إليه نضال الذين يدعون أنهم أصحاب مبادئ وحریات وحقوق وغير ذلك .

ولكن الحديث عن الثورة الإسلامية ورجالها شيء آخر ، نعم فهي ثورة من نوع فريد وعظيم . وأعظم ما فيها هو رجالها . أولئك الرجال الذين طبقوا مبادئها على أنفسهم أولاً ، وأخص بالذكر هنا مبدأ العطاء غير المحدود من دون مقابل ، إنهم أعطوا وأعطوا حتى الرمق الأخير ولم يفكروا يوماً واحداً بالأخذ .

مبدأ العطاء في مقابل ماذا ؟

هل يستطيع أحد من رجال سائر الثورات أن يدعي الإخلاص للمبدأ والثورة حقاً ؟ أن يضحي في سبيل ذلك دون مقابل ، هل بإمكان أحد أن يدعي خدمة الشعب دون أن يحسب حسابات المستقبل وما

ينفعه وما يضره ، كيف يمكن للإنسان أن يضحي وينفق ويعطي وهو لا يؤمن إلا بهذه الحياة الدنيا ، ولأجل من يعطي ؟!

العطاء في الثورة الإسلامية له مفهوم خاص ، إنه لا يقع في مقابل الأخذ أو في الطرف المقابل من المصلحة الخاصة ، إنه يعني بكل وضوح الذوبان في المبدأ والتفاني في حبه حتى أنه يرى نفسه لا يزال مديناً له مع كل ما قدم من تضحيات وكل ما قام به من إثارة وجهاد .

الأخذ في هذا القانون هو العطاء بنفسه ، إنه يحس بلذة العطاء ولذة التضحية لأنه مخلص في عطائه ومخلص في حبه، وهذا هو شأن كل محب صادق في حبه .

وبما أن الثورة كلها عطاء وخير فينبغي أن يكون رجالها كذلك ، فلا يصح أن يقول أصحاب الإمام الحسين (ع) ، ماذا استفدنا من الثورة ، إنما نحن الذين نقول ذلك ونتطلع إلى عطاء الثورة الحسينية على مدى التاريخ ، أما أصحاب الحسين (ع) مثل حبيب بن مظاهر وزهير بن القين ومسلم وغيرهم فهم أصحاب الثورة، ويكفيهم أنهم أصحاب ثورة وأصحاب عقيدة ، ويكفيهم أنهم عاشوا حياة الشرف والفضيلة ونالوا درجة الشهادة .

العارف الذي حصل على الجواب :

وأذكر حكاية أحد العرفاء ليتضح المقصود أكثر ، حيث ينقل عن

أحد العرفاء أنه كان لا يفتأ عن ذكر الله عز وجل، وكان لسانه يردد باستمرار : يا الله . . . يا الله . . يا الله . . وكانت هذه الكلمة هي دعاءه وذكره وتوسله وهي غذاءه الروحي وتعني كل شيء بالنسبة له ، إلا أن الشيطان صعب عليه أن يرى هذا الرجل على هذا الحال فاشتد في إغوائه ليمنعه عن الذكر حتى ألقى إليه يوماً بهذا السؤال : إلى متى تظل تنادي دون أن تحصل على جواب ؟-

توقف هذا العابد برهة وأخذ يفكر، وقد ملك عليه هذا السؤال أفكاره وهواجسه . تأثر كثيراً لذلك ورجع إلى بيته حزينا مطرقا ، نعم لقد ناديت كثيراً ولكني لم أحصل لحد الآن على جواب واحد . . . ونام على فراشه باكي العين ، فما لبث أن رأى في المنام من يقول له :

- لماذا تركت ذكرنا ونسيتنا . فأجاب بأني قد ناديت كثيراً فلم يجبني أحد . فقليل له :

- لقد كان نداؤك لنا بنفسه جوابنا لك .

وانتبه من النوم ولسانه يلهج بذكر الله ، وغاد قلبه ينبض بالحب وعلم كيف يجب الله عباده، فإن نفس التوفيق والهداية إلى طريق الخير هو أحسن جواب وخير عطاء .

آية الله دستغيب شهيد المحراب :

وهكذا كان شهيدنا آية الله دستغيب ، فقد كان رجل السياسة

والمحارب . . رجل العلم والعمل ، فلو ألقينا نظرة بسيطة على حياة هذا الرجل العظيم والعارف الرباني لما وجدنا غير الإخلاص والعطاء ، حياة طافحة بحب الله والجهاد في سبيله والعمل الجاد على رفع كلمة الإسلام وهداية الناس إلى طريق الخير . ولا أريد أن أتعرض في هذه المقدمة إلى أعمال شهيد المحارب طيلة عمره الشريف ولا يتسع المجال لذلك ، إلا أني أشير إلى ما أتحف به الأرواح العطشى من محاضراته القيمة والوفيرة ، وكتابات في مختلف مجالات التربية الفكرية والنفسية، وتطهير القلوب من أدران المادة والأنانية وحب الدنيا .

أجل ، لقد كانت مؤلفات شهيد المحارب تغذي المكتبة الإسلامية بالفكر الإسلامي الأصيل ، ولا شك أنها أعطت للشورة زخماً قوياً وتحركاً جذرياً، حيث كان الشباب المتعطش لله يجد ضالته المنشودة في كتب هذا العالم الجليل وفي أشرطة التسجيل لمحاضراته التي كان يلقيها في الجامع العتيق في مدينة اشيراز، عندما كان يتكفل إرشاد الناس وتربية النفوس في مختلف المناسبات، وخصوصاً في شهر رمضان المبارك طيلة الخمسين عاماً من وجوده المبارك في تلك المدينة إلى أن نال درجة الشهادة على أيدي أعداء الله من المنافقين، وهو في طريقه إلى محراب صلاة الجمعة رحمه الله .

كتاب « النفس المطمئنة » :

والكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم هو أحد عشرات

الكتب التي غذى بها شهيدنا الغالي الفكر الإسلامي والروح الإسلامية والجيل الثوري من أبناء الثورة الإسلامية .

وهذا الكتاب على صغر حجمه هو في الواقع مدرسة لتهديب النفس، وهذا هو العلم الحقيقي . فإضافة إلى المعلومات القيمة يمتاز أسلوب الشهيد آية الله دستغيب : أنه مصداق لمقولة (إن الكلام إذا خرج من القلب دخل إلى القلب) فهذا الشهيد السعيد بلا شك هو صاحب النفس المطمئنة، وسوف ترى بنفسك هذا الأسلوب الفذ في مخاطبة الروح . إنه يخرج لك العلم بالعمل ، أي أنه يعطيك الفكرة ويعطيك الطريق .

وبالرغم من أن كتب الشهيد رحمه الله هي كتب تربوية بالدرجة الأولى إلا أن القارئ لا يجد في نفسه أدنى ملل أو صعوبة في تقبلها ، فالملاحظ على كتب المواعظ والأخلاق هو كونها ثقيلة ومتعبة غالباً ، إلا أن مواعظ شهيد المحراب تختلف عنها كثيراً في هذه الميزة ، إنه يجذب الإنسان إليه بكلماته العذبة وبيانه الساحر . إنه باستمرار يحكي لنا قصصاً من واقع حياتنا ، وهذه ميزة أخرى تزخر بها كتب المؤلف ، أجاد صياغة أسلوبها لما يراه من قوة تأثيرها وعموم فائدتها لجميع أفراد المجتمع كما هو واضح من أسلوب القرآن الكريم في تعليم الناس وتربيتهم .

وهكذا لا يكفي الشهيد رحمه الله بأن يعلمنا من علومه، بل نراه

يأخذ بأيدينا بكل حب وإخلاص ويفيض علينا من نفسه المطمئنة
وقلبه السليم ما يساعدنا في سفرنا الطويل والبعيد .

أحمد القبانجي

١٥ جمادى الثانية ١٤٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحسين (ع) المصداق الكامل للنفس المطمئنة :

في رواية عن الإمام الصادق (ع) حول نزول الآيات الأخيرة في سورة الفجر :

﴿ يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي ﴾ أن هذه الآية الشريفة نزلت في حق جده الحسين (ع) وهذا الحديث لا ينافي عمومية وشمول الآية ، إنما هو لبيان الفرد الأكمل والمصداق الأتم لهذه الآية وهو الإمام الحسين (ع) لذلك تسمى سورة الفجر : سورة الحسين (ع) .

وفي روايات أخرى تقول بأن الذي يداوم على قراءة هذه السورة في الصلاة الواجبة والمستحبة سيحشر مع الحسين (ع) ، لذلك نجد أنه من المناسب توضيح هذه الآية لنعلم مطابقتها مع الحسين (ع) وكذلك نفهم مدى مطابقتها لنا ولأعمالنا . وأرجو أن تتوضح الحقائق التي تتضمنها هذه الآيات بصورة جيدة .

آخر المراتب في المسيرة التكاملية للإنسان :-

﴿ يا أيُّها النفس المطمئنة ﴾ النفس المطمئنة آخر مراتب التكامل البشري ، والنفس الإمارة هي أول تلك المراتب ﴿ إن النفس لأُمارة بالسوء ﴾ وبعد أن تدخل في تيار الحركة التكاملية تصبح نفساً لوامة ﴿ ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾ .

وبعد ذلك تصل إلى مرحلة الإلهام ﴿ فآلهمها فجورها وتقواها ﴾ وتكون النفس الملهمة ، وتستمر في التكامل حتى تصل إلى مرحلة الاطمئنان النفسي ، وهذه الأخيرة أيضاً لها مراتب ، والراضية والمرضية هي آخر درجاتها التكاملية .

هذه النفس المطمئنة إلى الملكوت الأعلى بجناحي العلم والعمل الصالح ، فهذه خلاصة أربع حالات ومراتب للتكامل النفسي .

حالات مختلفة لنفس واحدة :-

هناك ملاحظة نلفت إليها انتباهك وهي أن النفوس الأمانة والمهمة واللومة والمطمئنة ليست موجودة بأربعة وجودات وإنما هي نفس واحدة ولكنها تختلف باختلاف الحالات . فنفس كل إنسان على أقسام أربعة باعتبار حالاتها ومسيرتها التكاملية ، وكل قسم له عدة مراتب أيضاً .

في البداية يجب أن نفهم النفس الأمانة ما هي ؟ في المراحل الابتدائية النفس الإنسانية لها حالة آمرة وذلك قبل طلوع نور العقل في الإنسان (الأمانة) صيغة مبالغة للأمر . . فالنفس تحاول التحكم والتسلط وليست مستعدة لأن تنازل عن هذه الحكومة وتعترف بعبوديتها وذلتها .

العقائد الإلهية التي جاء بها الرسل والأنبياء عليهم السلام ترشدنا إلى أن الله واحد وعالم ومقتدر ومحيط بالعباد ، ولكن النفس الأمانة والتي تعتبر نفسها هي الحاكمة لا تخضع أمام السلطان الإلهي ، وليست مستعدة لأن تعترف بعبوديتها ، وتحاول أن تتخلص من تحمل المسؤولية بمختلف الحجج والمعاذير

عدم الاعتراف بالعبودية :-

أنت كنت نطفة . . فانظر إلى جهاز جسمك العظيم وانظر إلى

عظامك .. إلى عروقك وشرابينك .. إلى معامل الكبد العجيبة والتي تؤدي اثنتي عشرة وظيفة .. جهاز القلب وتصفية الدم .. إلى الكلية والمعدة .. وانظر إلى جهاز الحنجرة والقصبات الهوائية .. جهاز الإدراك .. الحافظة والحس المشترك .. انظر إلى القوة الوائمة .. هل تكونت هذه الأجهزة العظيمة لوحدها ، وهل يصدق وجدانك ؟

ولكن بما أنها أمانة فهي تتذرع بالحجج وتدوس على الوجدان ، تسير خلاف الفطرة .. تتمسك بالشكوك والشبهات من أجل ألا تعترف بالعبودية .. وهي أمانة لا تريد أن تتحمل مسؤوليتها .

أما بالنسبة إلى المعاد فكم تطرق أسماعنا نداءات الحق : أيها الإنسان أنت لا تفنى بعد الموت أو تصبح عدماً . بل أنت موجود ومحكمة العدل الإلهية موجودة ، وكل شخص سوف يصل إلى جزاء أعماله ويرى نتائج أفعاله إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، وهذه النفس تسمع البراهين والأدلة على المعاد ، والتي يذكرها القرآن المجيد .. سورة الواقعة مليئة بأدلة المعاد وكذلك في آيات أخرى من القرآن .

أمانة : لأنها غير ملتزمة .

ولأنها أمانة فهي لا تريد أن تترك الملذات .. فالذي يطمح بالوصول إلى المقامات العالية والباقية أن يقيد لسانه وبصره وسمعه ، أما النفس الأمانة فهي تريد أن تبقى حرة ، ومن أجل ذلك فهي

نكر القيامة وتقول : من الذي رجع من ذلك العالم وجاء بالخبر .
تريد أن تتنعم في هذه الأيام المعدودة ، أن تعيش حرة وغير ملتزمة ،
إنها تريد أن تكون غنية وتجمع الأموال الطائلة . فلو كانت تعتقد
بالمعاد فكيف يتسنى لها جمع الأموال واكتنازها . والشخص الذي
يعتقد بالمعاد كيف يتصرف بأموال الأوقاف و . . .

الأمانة تريد أن تجمع الأموال، فهي لا تستسلم إلى مسألة المعاد
ولا تقبل بالمسؤولية الإلهية وتبتعد عن المحرمات ، بل تريد أن تملأ
بطنها من الحرام ، أن تكون غير مقيدة وتتصرف بحرية ، وهو ما لا
يتلائم مع الاعتقاد بالمعاد فلذلك تقول : إن هذه الاعتقادات رجعية
وهي أمور قديمة ومتحجرة . . كل هذا ناتج عن أمارية النفس ولأنها
تريد أن تكون هي الحاكمة المطلقة بدون قيود ، الحلال والحرام قيود
على الأعمال ، أما الأمانة فلأنها تريد أن تأكل كل ما تصل إليه ،
سواء كان من أموال اليتيم أو الغش في المكيال أو الجناية . . . تريد
أن تتمتع بالنظر فتتطلع إلى كل ما لا يجوز النظر إليه ، ولأنها أمانة
فهي لا تحب أن تكون حكومتها وأماريتها مقيدة .

لذلك تسمعون أن أمارية نفس الكافر هي عين كفره ، فهو يريد
أن يكون حاكماً مطلقاً ، ويصل الأمر بالإنسان ونفسه الأمانة أن
ينصب نفسه في مقابل رب العالمين ، ويريد أن يتحكم بالسموات
والمجرات ويسيرها وفق رغباته .

نفس ازدرها است او كي مرده است
از غم بي آلي افسرده است
النفس تدعي الربوبية والألوهية، فهي تفرح إذا كانت الأشياء
كما تحب وتشتهي ، ويحتويها الحزن والغيب إذا حصل ما يخالف
مزاجها .

اعتراض النفس الأمانة على القضاء والقدر :-

الإنسان الذي يلهث وراء كسب الثروة والأموال وتساعدته الأيام
على تكديس الثروة يعتقد أنه هو السبب في الحصول على هذه
الأمور : أنا الذي بفكري ، بلسعات قلبي ، بقدرة أذرعني عملت
كذا فحصل كذا .

أما لو جرت الرياح بما لا تشتهي سفنه ، كما إذا تلفت أملاكه
واحتترقت أو تضرر فسوف ينزعج ويتألم ويضطرب بشكل غير
مألوف . يقول إن العالم يجب أن يسير وفق ما أشتهي وأريد ، ففي
بعض المسائل التي يكون فيها القضاء والقدر الإلهي على خلاف
رغباته وميوله فسوف يعترض على القضاء والقدر ، فلو أن ابنه مات
فسيقول : إنه أخذ ابني الشاب وترك ذلك العجوز .

ولو كان بإمكانه أن يهجم على ملك الموت ويقطعه إلى أشلاء
عديدة لفعل .

الله العالم هو المدبر :-

عندما يقولون للنفس : أيتها النفس إن لهذا العالم مديراً ومدبراً
- الحمد لله رب العالمين - المربي والمدير لعالم الوجود هو الله . وكل
شخص - في أية درجة من درجات الوجود - أمره بيد رب العالمين
المنزه ﴿ الذي بيده ملكوت كل شيء ﴾ جميع مراتب الوجود بيده ،
الحياة والموت بإذنه ، فهو الذي يحيي ويميت ، وبدون إذن الله
وإجازته لا تخرج الروح من هذا الجسد . والله بحكمته البالغة يقدر
صلاح كل عبد ، فكل ما كان هو المقدر له .

فيا أيها الذي ذهبت أمواله وتلاشت أملاكه ، لا تتصور أنك كنت
مستقلاً في اكتساب تلك الأموال . لا تكن كافراً فكل الأمور بيد
مدبر الأمور « يا مدبر الأمور » .

إهلك أراد لك الصلاح يوم أعطى ويوم رأى من الصلاح أن
يأخذ ، لا تكن نفسك أمارة وتجعل نفسك مقابل إهلك وخالفك ، لا
تجعل مصلحتك مقابل صلاح الله ، يجب أن يستسلم الإنسان ولا تكن
لذنه حالة اعتراض على إرادة الله سبحانه وتعالى .

« كل ما جاء به خسرو فهو جميل » (مثل فارسي) :-
موت الأولاد حادث من الحوادث التي قدرها الله وعلم أن من

الصلاح أن يموت في هذا العمر ، فلماذا تعترض ؟ لا تنس الجزء
والثواب الإلهي فأجرك عند الله ، ولا تحزن أن تعول غداً فربك
ورازقك موجود ، وما تدري ما خفي عنك من المصلحة والحكمة ،
فكلما يراه صالحاً لعبده يجري به المقدرات ويمضيه .

في عالم الوجود لا تسقط من ورقة إلا بإذن رب العالمين ، كذلك
موت الأولاد لا يكون إلا بمشيئته وإرادته ، وإذنه في ذلك هو عين
الصلاح والمصلحة وإن كان الإنسان لا يدرك ذلك .

لعمدما يقولون : أيتها النفس كوني صابرة وشاكرة فهذا لا يعني
أننا نقول بالجبر بل هو (أمر بين الأمرين) إنه ليس جبراً بل الاختيار
باق لكنه مشروط بإذن الله ، فإذا قصدت أن تؤدي عملاً فأنت
تستطيع ذلك إذا كان معه إذن الله .

كل الحوادث مسجلة في اللوح المحفوظ قبل أن تقع وتقدر
المقدرات فيجب أن نرضى بذلك التقدير ، ولكن النفس الأمارة لا
تخضع لهذه الحقيقة وغير مستعدة للصبر والشكر .

الجزع الناشئ من الاعتراض حرام :-

في باب تجهيز الأموات نجد أن عويل وبكاء صاحب المصيبة إذا
كان بشكل الاعتراض على القضاء والقدر الإلهي فهو حرام ، فشق
الجيب واللطم على الرأس والصدر من المحرمات إذا كان ذلك

اعتراضاً على إرادة الله ، وهذا مذكور في الرسائل العملية .

لأجل موت أبيه أو أمه العجوز نجد الشخص يقيم الدنيا
بصراخه وعويله ، ولو أنه التفت قليلاً لوجد أن بقاء الأب والأم
يجعله في النهاية يتمنى موتها ، فما أصعب رعايتهما إذا أصبح حالهما
كالحال الأولى يجب تنظيفهما باستمرار . إن أخذه قبل أن يصل
العجز إلى هذه الدرجة هو إراحة له وإراحة للآخرين منه ، فلماذا
يعترض الإنسان على جهاز الخلقة ؟ فالذي أعطاه الروح هو الذي
أخذها منه .

أمارية النفس وجهنم الفعلية : -

في حالة الاعتراض على القضاء والقدر تبرز النفس الأمارية . عند
ذاك يكون الإنسان كافراً بالله ومشركاً بالله وساخطاً لقضاء الله وهذه
أتعس الحالات وهو لا يعلم . لا توجد انتكاسة روحية أقبح من
الاعتراض على القضاء والقدر الإلهي وأن يكون مع الله في تساؤل
لماذا حدثت الزلزلة ؟ ولماذا لم يسقط المطر ؟ هذه هي جهنم الفعلية
كما أن التسليم والرضا هو الجنة الحقيقية ، فإذا حصل لديه الإيمان
بالله فهو السعادة والراحة الحقيقية .

مريض بالعمى والفلج لكنه شكور : -

في رواية عن موسى بن عمران عندما أراد من الله أن يريه أحب

الخلق إليه فأوحى الله إليه أن اذهب إلى المحل الفلاني وسوف تراه ، فلما جاءه وجد رجلاً أعمى ومفلوجاً وفي نفس الوقت مريض أيضاً . أقترب منه موسى وجلس يسأل عن حاله فسمعه يسبح الله « يا باريا وصول » .

مع كل هذه المصائب من فقدان البصر والأرجل مع ذلك يشكر الله على نعمه ويذكر فضله وإحسانه .

سأله موسى « كيف تشكر الله وأنت على هذه الحالة » ؟ فقال :

(أعطاني عيناً لمدة من الزمان ورفعت بذلك حوائجي ، ولكي لا أنظر المناظر المحرمة والمسببة للغفلة . . لكي لا تقع عيني على حرام ، أخذ عيني . .

أعطاني رجلاً وقد استفدت منها، وبعد ذلك أخذها حتى لا أذهب إلى مكان حرام .

وأيضاً أعطاني نعمة لم يعطها إلى أي أحد في هذه القرية التي أنا فيها، فكيف لا أشكر هذه النعمة؟

فسأله موسى : أي نعمة أعطاك ؟ فقال : نعمة الإيمان .

الجسم سالم ولكن القلب مضطرب : -

تشاهدون شخصاً سالم الجسم ولكن النيران ملتهبة في قلبه ،

أماريته وكفره بالله حوّل باطنه إلى جحيم ، فما أكثر ما يحرم النوم في الليالي بسبب التناقضات الناتجة من رغبات النفس وحكومتها .

يجب أن يؤمن بالله ويتخلص من النفس الأمارّة ، ويترك ميوله وشهواته جانباً ، وأوّل علائم ترك الشهوات النفسية أن يلوم نفسه إذا صدر منه ما يخالف العبودية ويتألم لذلك ، وهذه أوّل علائم الإيمان ، وهو أن النفس أصبحت لوامّة يلوم نفسه دون الآخرين كما تقول الرواية .

ما أحسن أن يكون للإنسان واعظ باطني : -

حاسب نفسك بنفسك ، فلو نصحك شخص آخر وكانت نفسك أمارّة فسوف تغضب وتتكبر ، ولكن لو خرجت من النفس الأمارّة فسوف تتألم بمجرد أن يصدر عنك ما يخالف العبودية ، وسوف تلوم نفسك : ما هذا الذي عملته ؟ ما هذا الكلام الذي تكلمته ؟ أستغفر الله ، إلهي سامحني واعف عني .

﴿ ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾ هذا هو أوّل ظهور العبودية ، فإذا وجدت في نفسك هذه الحالة فاشكر الله لأنك سرت في طريق الإيمان ، سرت على صراط عليّ المستقيم ، ويجب أن تستمر على هذه الحالة أي تلوم نفسك كلما صدر منك خطأ .

بعض الفضلاء الكبار يقومون بتصرفات عجيبة في لوم أنفسهم

مثلاً لكي يزجر نفسه ويؤدبها فيصمم أن لا يشرب الماء البارد لمدة سنة لأنه ارتكب الذنب الفلاني .

إلهام النفس الحسن والقيح :-

بعد ذلك يصل به الأمر إلى درجة الإلهام ﴿ فآلهما فجورها وتقواها ﴾ يفهم الحسن من القبيح ويعلم ما هي الحسنة وما هي السيئة . وقبل الوصول إلى هذه الدرجة ما أكثر الأعمال الحسنة التي يعملها ، لكنها تحمل ذنباً في الباطن سواء كانت رياءً أو عجباً أو غروراً وغيرها ، أما مع وصوله إلى مرحلة الإلهام فسوف يكون بعيداً عن هذه الأمراض ، ثم يرتفع حتى يصل إلى النفس المطمئنة يطمئن بالإيمان وبالحق ، لا تعتريه لحظة من التزلزل في الليل أو النهار ، ولا أثر لحكومة النفس ولا وجود للشهوات والميول النفسية بل رضا الله يحل محل تلك الميول والشهوات ، نعم : إن الملائكة تدخل بمجرد أن يخرج الشيطان .

المطمئن إلى الله في حالة سكون . الله ﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ﴾^(١)

(١) سورة الفتح الآية : ٤ .

نتائج الإطمئنان بالله :-

السكينة من السكون والهدوء . فليس هناك اضطراب أبداً هناك
عباد الله بحيث إذا ملكوا الدنيا بما فيها ثم زال عنهم دفعة واحدة
فكانه مثل ريشة كانت معلقة بهم وأزالتها عنهم الرياح فليس لذلك
أي أثر في نفوسهم . هو يعلم أن الله هو المعطي وأن رزقه من الله ،
جئت إلى الحياة بأيدي خالية وسأرحل عنها كذلك ، وفي أثناء ذلك هو
المتكفل لرزقي وإطعامي ما دمت حياً .

﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع
إيمانهم ﴾ .

صدق الله العلي العظيم

التاجر الخاسر والحاج المقدس :-

يمكن أن ندرك قدر هذه النعمة مع ملاحظة المحرومين منها .
فقبل ثلاثين أو أربعين سنة كان في مدينة شيراز تاجر مقدس ومن
أهل صلاة الجماعة ، وبعد ذلك اتضح أن صلاته وعبادته كانت
جافة وبعيدة عن الحقيقة - هذا التاجر أفلس بعد ذلك وأصبح جليس
الداريبيع من أثاث البيت ويرتزق من ذلك .

في أحد الأيام أخذ يفكر ويحسب أن الأمر لو استمر به على هذا
الموتال : كل يوم يبيع من أثاث البيت ويصرف ثمنه على معاشه ، فكم
يستطيع أن يستمر على ذلك ؟

وتوصل إلى أنه بإمكانه أن يستمر على ذلك ثلاث سنوات أخرى
ولكن الوهم لم يتركه ، بل أخذ يفكر فيها بعد ذلك وماذا سيفعل بعد
تمام السنوات الثلاث : هل سأجلس على قارعة الطريق وأمد يدي
إلى الناس ؟ ولكي يتخلص من ذلك انتحر بالسم .

كمال الاطمئنان في الإيمان : -

هذا التاجر حاج مقدس ، لكنه لم يصل إلى مرحلة الاطمئنان وبقي
على كفره بالقضاء والقدر الإلهي وذهب في النهاية مع كفره .

لا تستصغرون هذا المطلب بل هـُوروح وعين الحق وحقيقة
الإيمان ، يجب السعي للوصول إلى مقام الاطمئنان لأنه ﴿ أولئك لهم
الأمن وهم مهتدون ﴾ فكمال السكينة والاطمئنان في الإيمان .

اطمئنان الحسين (ع) في يوم عاشوراء : -

هنا أبين تطبيق هذه الآية على الحسين (ع) ، فهو المصداق .

الأكمل والأتم للنفس المطمئنة ، من الأمور المذكورة في كتب المقاتل بأن الحسين (ع) في اليوم العاشر كان وجهه المبارك يزداد إشراقاً مع كل مصيبة نازلة . اطمئنان عجيب بالقضاء والقدر والمشئمة الإلهية ظاهر في سيمائه ، لأن الحسين (ع) على يقين من أن هذه الحوادث والمصائب هي بإذن الله ومشئته ، ولوجود المصلحة فيها فالله أمضاها ، يعني لم يمنع من وقوعها .

وهذا لا يعني الجبر بل أن رب العالمين أراد أن يتحمل الحسين (ع) هذه المصائب باختياره لكي ينال أعلى درجات الكمال وعلو المقام المتاحة للبشر ، كذلك أراد لقاتليه أتعس الشقاء وسوء العقابة لسوء اختيارهم .

هين لأنه بنظر الله : -

الحسين (ع) يرى طفله الرضيع - واقعاً عجيب - يقتل وهو على يديه ، هذه المصيبة حقاً تهز الجبل وتصعق الإنسان ، لكن الحسين صاحب النفس المطمئنة يقول : « إنما هوّن علي ذلك أنه بعين الله الناظرة » .

هذه المصيبة العظيمة التي تمزق الأكباد وتحرق القلوب هينة وسهلة لأن الله هو الناظر لها والمثيب عليها .

حتى اللحظة الأخيرة كان هكذا مع الله ، والله أيضاً يوجه الملك

والملكوت إلى الحسين (ع) - الحسين يتوجه إلى رب العالمين وجميع
العالم متوجه إلى الحسين (ع) : إن التقلبات التي وقعت في عالم
الوجود مخصوصاً في ليلة يوم عاشوراء والتي سوف تقع بعد ذلك
شاهد على ما أقول .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، أولئك هم الفاسقون ﴾^(١)

صدق الله العلي العظيم

الجسم وعاء الروح :-

كان الحديث في معرفة النفس . ففي البداية على الإنسان أن يسعى لمعرفة نفسه حتى يتمكن أن يتعرف على المبدأ . . يفهم أن

(١) سورة الخشر الآية ١٩ .

هذا البدن وهذا اللحم والجلد والعظم والشرابين هي آلة ووسيلة لعمل الروح ، يعني أنه مخلوق لأجل الروح والنفس ، فهذا البدن مخلوق بالتبع ، والهدف من الخلقة هو الكمالات الروحية التي يجب أن تظهر بواسطة هذا البدن . . العلم والعمل للنفس بواسطة هذا البدن . . . بواسطة هذه العين ترى جزئيات العالم وتدرك من خلال ذلك الكليات . . بواسطة هذه الأذن تسمع النفس نغمات هذا العالم ، وتشم بواسطة الأنف الروائح الطيبة في هذا العالم وتدرك بذلك الصانع لها .

العين والأذن وسيلة لإدراك عظمة الحق : -

الخلاصة أن هذا البدن وسيلة لإدراكات الروح التي تدرك الأمور الكلية من خلال إدراكها للجزئيات ، تفهم عظمة الخالق من خلال ما ترى وتسمع وتشم وتنطق بـ (الله أكبر) اللسان ينطق بما أدركه عقله ، يرى عظمة الله من خلال الكرات السماوية اللامتناهية ، الحركات المنظمة والمنيرة لها يبصرها ويفهم ببصيرة عقله ما هي تلك القدرة الإلهية الخارقة التي حركت هذه الأجرام العظيمة بإرادتها ، هناك ينطق لسانه بما أدركه عقله بالتسبيح والتقديس قائلاً : (الله أكبر) .

ما يدركه يرى أنه من نعم الله ويعلن هذا الإدراك للنعمة بقوله

« الحمد لله » قصدي أن البدن بالنسبة إلى روح الإنسان بمنزلة الأداة .

فعالية الروح بواسطة الأعضاء : -

كل شخص وكل متعامل بحاجة إلى أدوات لعمله وكسبه ، روح الإنسان بحاجة إلى وسيلة لاكتساب الخيرات طيلة المدة التي تعيشها على هذا التراب .

إذن فهي بحاجة إلى يد ورجل ، ومع عدم وجود اليد فكيف بإمكانها أن تحمل شيئاً من الأرض . . . عندما تريد أن توصل خيراً فلا بد من لسان لكي تستطيع أن تصلح به بين الزوج وزوجته . . . وعندما تريد أن تطفىء نار الفتنة فإنه لا يمكنها أن تأتي بهذا العمل الخير مع عدم وجود اللسان . مع وجود الأقدام يستطيع الإنسان التوجه إلى المساجد والمعابد ومجالس الوعظ والتفسير ويحصل على المعارف الإلهية .

الغرض أن هذا البدن أداة للروح ، والقوة العلمية والعملية للروح تكمل ببركة هذا البدن ، فإذا عجز هذا البدن عن العمل فسوف لا تصل الروح إلى كمالاتها ، وبركة هذا البدن الذي سخره الله للروح وجعله مطيعاً لها تصل الروح إلى كمالاتها .

جسم عالم الوجود وقدرة الحق : -

جسم الإنسان بالنسبة للروح مثل جسم العالم بالنسبة للقدرة اللامتناهية والارادة الأزلية ، فكما أن الله بمجرد أن يريد تتحقق إرادته ، كذلك الروح بالنسبة إلى هذا الجسم المخلوق بهذه الصورة فبمجرد أن تريد الروح شيئاً يتحرك البدن لتلبية هذه الارادة .

فاعرف قدرك وتعرف على إلهك وخالقك .

إن هذا البناء العظيم مع مئات القوى والأجهزة الظاهرة والباطنة من عين وأذن وذائقة وشامة وحافظة وخيلة وواهمة وجهاز القلب والكبد والمعدة وجهاز الهضم وجهاز التنفس وغيره ، هذا البدن مع كل هذه التشكيلات موضوع في خدمة روحك .

نفوذ مشيئة الروح في البدن : -

عندما تريد أن تتحرك نحو شيء ما فسوف تقوم بالحركة طبيعياً عندما تريد السير فلا حاجة لأن تقول لأقدامك سييري وإنما هي تسير لوحدها . أو أردت أن تدخل يدك إلى جيبك فسوف تدخل يدك إلى جيبك فوراً بدون أن تقول لها ادخلي الجيب ، إذا أردت أن تدير نظرك فستفعل ذلك بدون أن تكون محتاجاً إلى أمر . ونفوذ إرادتك في

جميع أعضاء جسمك نموذج صغير على نفوذ المشيئة الإلهية في عالم الوجود .

نموذج من قدرة النفس الناطقة : -

الشيخ الرئيس في كتابه « الشفاء » يذكر نكتة لطيفة سبق وأن ذكرتها ، يكتب أن الناس تتعجب من المغناطيس كيف يجذب مثقالاً من الحديد ويتعجبون منه كيف يجذب إبرة ، في حين أن العجب في روحك هذه كيف استطاعت أن تجذب هذا البدن الثقيل .

النفس الناطقة تجذب إليها خمسين أو ستين كيلو غراماً بمجرد أن تريد وتحركها بأي اتجاه تحب . ما أعظم القدرة التي أعطاها الله لهذه النفس الناطقة ، ما هذا النفوذ للمشيئة ؟

الروح تؤدي عمل عدة أشخاص : -

عندما يموت الإنسان وتقطع النفس الناطقة علاقتها بالبدن ، نحتاج إلى عدة أشخاص لينقلوا هذا البدن من مكان إلى مكان ، البدن الذي يحمله أربعة أشخاص مع مشقة وتعب ولمسافة قصيرة أيضاً، فما هي الروح؟ وكيف هي؟ من هي النفس الناطقة التي تحمل هذا الجسم الثقيل بهذه السهولة ومنتهى الراحة تتحرك وتركض، لماذا لا

ترى عمل الله ؟ قل الله أكبر كيف أن الله سخر لي هذا الجسد ؟ في البداية تعرف على نفسك وروحك وحقيقة ذاتك المجردة ، ثم بعد ذلك على صانعها .

الحس المادي ناقص :-

بعض الجاهل يقولون : كيف نصدق بأمور لا تراها أعيننا ؟ كما أن بعض الماديين قالوا ويقولون بأننا لا نرى سوى اللحم والجلد فكيف نصدق بوجود النفس والروح ؟ وهذا الكلام مثل ما يقوله الجاهلاء ومنكرو وجود الخالق : من أننا كيف نصدق بوجود خالق لا يرى ؟

هذا الكلام ناشيء من عدم الشعور ، فهل يصح أن تنكر وتكذب كل ما لا تراه عينك؟ إذا لم تحس بشيء معين فيجب أن تقول بأن حسي ناقص لا أن ذلك الشيء غير موجود ، فما أكثر الأشياء التي لا تستطيع العين أن تراها لشدة لطافتها .

الهواء والكهرباء لا تراهما أيضاً :-

هل يوجد من ينكر وجود الهواء ؟ في أي مكان لا يوجد الهواء لا يمكنك الحياة ، وسوف تختنق ، فهل رأيت عينك الهواء ؟ ومن مسلمات علم الفيزياء أن الماء مركب من عناصر أولية فيه الأوكسجين

وفيه الهيدروجين ، فمع أنه مركب لكن فالعين لا تراه ، فكيف الأمر بالنسبة إلى الموجودات اللطيفة ؟

والقوة الكهربائية موجودة في جميع هذه الأسلاك إلا أنها لا ترى بالعين أيضاً .

الأثر يدل على المؤثر : -

من جملة الموجودات اللطيفة العقل - عندما تقول لأي شخص يا عديم العقل فسوف تؤذيه . والآن أين هو العقل ولماذا لا يرى ؟ مع أننا نتيقن بوجوده . وجود كل شيء يعلم من آثاره « البرهان الآني » ندرك المؤثر عن طريق الآثار . عندما نعرثر في الشارع على آثار عجالات أو أقدام فسوف نفهم أن سيارة أو أن إنساناً مرّ من هذا الطريق .

خلق آخر للروح : -

نفسك موجود مستقل ، منور ، فعّال . وبقى ببقاء الله .

في القرآن المجيد عندما يقرر أن الروح مخلوق غير البدن هكذا يعبر ﴿ ثم أنشأناه خلقاً آخر ﴾^(١) فمن بعد أن كان نطفة ثم علقه ثم

(١) سورة المؤمنون الآية : ١٤ .

مضغة وأخيراً كتمل البدن فنوجد خلقاً آخر ونعطيه الروح .

روحك ليست هي الجسم الذي يدفن تحت التراب ، غير اللحم والجلد والتي تمرض وتضع وتتنقص .

لا تفكر في بدنك إلى هذا الحد ، فكر في روحك أيضاً، فحقيقتك هي روحك، وهذا البدن مثل السيارة تحت أقدامك وأداة عملك .

الشهداء أحياء خالدون :-

القرآن المجيد لكي يفهمنا بقاء الروح يقول : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾ .

فالحقيقة هي أن الروح عند الموت كأنها نزلت من مركب البدن ، وبتعبير الإمام الصادق (ع) : أنها كالطير الذي يتحرر من قفصه ويبقى القفص تحت التراب ، أما كيف حال ذلك الطير ؟ .

الروح باقية ببقاء الله :-

علي (ع) يقول : « رحم الله امرأةً عرف نفسه » عرف بأنه ليس حيواناً وحقيقته شيء آخر ، والنفس باقية ببقاء الله وهذا الجسم خادم ومسخر لها . الفعاليات التي أعطاها الله للنفس هي مظهر الفاعلية والقدرة الإلهية ، القدرة الإلهية ظاهرة في هذا البدن فكيف تنفذ إرادة النفس في هذا البدن فكذلك الله أيضاً « يا من نفذ في كل شيء أمره » .

جسم العالم مخلوق من قبل الله : -

جسمك هذا مع أنه ليس مخلوقاً لك ومع ذلك تجدد لإرادتك هذا النفوذ فيه ، فكيف بجسم العالم الذي هو مخلوق لله أيضاً ؟ كيف نفوذ أمر الله فيه ؟ ففي مقابل إرادة الذات المقدسة ، الأحادية تكون الإطاعة التكوينية في ذرات وجود العالم أكثر ، فالمعدوم يصبح موجوداً والموجود معدوماً والمتصل يصير منفصلاً والمنفصل متصلاً .

الإدراكات أثر الروح في البدن : -

لأجل أن تتضح أكثر فاعلية وفعالية الروح بالنسبة للبدن نوضح مسألة تغاير الروح والبدن ببيانات متعددة ، ونقصد بذلك أن الروح غير البدن .

قلت بأن معرفة الشيء تكون بمعرفة آثار ذلك الشيء، فالعين، والأذن لا تستطيع إدراك الروح المجردة ولكن يمكن أن ندرك ذلك من آثارها .

الإدراكات من آثار الروح على البدن، فعندما تصطدم قدمك بحجر أثناء السير أو تصيب قدمك شوكة فستعلم بذلك فوراً وهكذا كل حادثة تقع ستدركها الروح في الحال ، وهذا نموذج لعلم الروح بما يجري على البدن ، وكما أنك تعلم بالحوادث التي تصيب بدنك فكذلك الله الخالق للروح والبدن يعلم بصورة أكمل وأتم ، ولا يخفى

عليه أي شيء يجري في جسم العالم .
في كل زاوية من زوايا هذا العالم لا تقع أية حادثة إلا بإذنه
ومشيئته .

الحافظة دليل على تجرد النفس :-

الروح ليست مادية، إنظروا إلى جهاز الحافظة والذي يحتفظ بكل
ما رآه الشخص أو سمعه وأحسه من أول عمره وكذلك كل كلام
نطق به . إذا أراد أحد أن يحسب الكلمات التي قالها لحد الآن وما
رآه وسمعه ولمسه وذاقه بالتأكيد سيكون رقماً خيالياً . إذا أردت أن
تكتب ما تكلمت به لمدة ساعة واحدة فكم سيكون ؟ أما إذا أردت
أن تكتب كل ما قلته وسمعتة وتسجله على الورق فكم يلزمك من
الألواح وأي مكان يتسع لها ؟ واقعاً شيء محير ! .

لا تراحم بين المدركات :-

ولكن ما هذه النفس الناطقة التي تجتمع فيها كل هذه الإدراكات
بدون تراهم ؟ لو سألت أحداً : من هذا الشخص الذي رأيته في اليوم
السابق ؟ فسوف ترجع إلى مسؤول الأسناد والخزانة وتريد منه
التحقيق والبحث وتشتغل الحافظة لتعثر أخيراً على ما تريد .

وطبيعي أن قوة الحافظة غير متساوية عند الجميع ، فالنسيان
يختلف باختلاف حافظة الأفراد ، فعند البعض كثير والبعض الآخر
قليل .

سعة النفس والإدراكات غير المتناهية :-

أليس هذا دليلاً على أن ذات النفس ليست مادية ؟ فالنفس من حيث السعة بحيث تستطيع أن تحتفظ بكل هذه الإدراكات والمحسوسات دون الاحتياج إلى مكان لتجميعها والاحتفاظ بها .

ولأجل أن يتوضح الموضوع أكثر أذكر لكم قصتين خطرنا على ذهني . لتغيير جو الحديث، وللتعرف أكثر على الروح وفعاليتها وقدرتها النافعة، وتوضح لنا كيفية حكومة النفس على الجسد .

معالجة « خوارزم شاه » بالعلاج النفسي :-

قيل إن «خوارزم شاه» ابتلي بمرض الفلج وعجز الأطباء عن علاجه بعد ذلك أرسل وراء عمر بن زكريا الرازي والمعروف في ذلك الوقت وبعد إحضاره عرضوا عليه الأدوية والعقاقير السابقة، وهو بدوره قام بتمريض الشاه ولكن بدون جدوى .

وبعد تفكير عميق رأى أن هذه الأدوية السطحية غير نافعة لمعالجة مثل هذا المرض، فلا بد من اللجوء إلى قوة الروح لحل هذه المعضلة، فقد كان عالماً وخبيراً جداً ، فهم أن يعالجه بالعلاج الروحي ويستفيد من قوة النفس .

الثفت زكريا نحو السلطان وقال :- اكتب لي أماناً لكي أتمكن من علاجك بالطريقة التي أراها . وبعد أن أخذ الأمان أمر أن يجهزوا الحمام وتكون درجة حرارته باختياره هو ، ثم أمر أن يسخنوا الحمام

إلى أقصى درجة من الحرارة دون أن يجعلوا له أي منفذ للهواء، ثم أمر أن يضعوا السلطان في وسط الحمام ، ويجردوه من ثيابه ويجلسوه على أرضية الحمام الحارة ويتركوه بعد أن يتركوا خزانة الماء^(١) في درجة حرارية عالية أيضاً .

مضت عدة ساعات على السلطان وهو جالس وحده في شدة الحر الذي لا يطاق، حتى لانت مفاصله وسحت عظامه .

وفجأة دخل زكريا الحمام وبيده سيف مسلول وهو يكيل له أقذع الشتائم بهياج عجيب، ويقول أنا الذي رسمت هذه الخطة لأصطادك لوحذك وأقتلك أيها الظالم سأقطعك بهذا السيف قطعة قطعة، وهجم عليه .

ومن شدة خوف «الشاه خوارزم» وهلهه قفز من مكانه وألقى نفسه في خزانة الماء طلباً للنجاة .

فالذي كان مصاباً بالفالج ولم تنفع معه العقاقير الببدائية تمكن من الشفاء والحركة بطريق العلاج الروحي، فنفس الخوف والرعب الناشئ من القوة الواهمة هو الذي دفع بجسده نحو الحركة .

وبمجرد أن ألقى بنفسه في الخزانة خرج زكريا من الحمام بسرعة وركب فرسه وهرب ، وبعد أن خرج الخوارزم من الحمام ولبس ثيابه استدعى زكريا فليل له إنه هرب، فأرسل وراءه من يبحث عنه ويأتي

(١) بركة ماء ساخن - تستعمل في الحمامات القديمة .

به كي يخلع عليه جائزة .

فلما وجدوه قال لهم : لا حاجة لي بالجائزة وأخاف أن يكون غاضباً
مني من أجل تلك الشتائم .

العلاج النفسي أقوى : -

مقصودي هو قدرة الروح ، هذه القوة الوهمية والخيالية للروح
قوية وفعالة بدرجة عجيبة، بحيث إنها أقوى من جميع الأسباب
الخارجية كالأدوية وغيرها .

وبالعكس من ذلك أيضاً يمكن أن يكون الإنسان سليماً لكن
بالتلقين النفسي يمرض ويموت .

إعدام بواسطة قدرة الروح (أو القوة النفسية) :

يذكر في الكتب أنه كان هناك شخصان محكومان بالإعدام، وقد
عصبوا عيني أحدهما وأجلسوه أمام الآخر، ثم وخزوا جسمه وأخذ
يسيل منه الدم حتى مات بعد ساعة أو ساعتين .

وبعد ذلك جاء دور الثاني وعصبوا له عينيه، ولكن لم يقطعوا له
وريده وإنما مروا عليه بالسكين، فتصور أنه جرح وأن الدم ينزف منه
مثل رفيقه .

واستمر في هذا الخيال، خمس دقائق مرت ثم عشر دقائق وهكذا
حتى مضى وقت بمقدار ما مر على رفيقه فسقط ومات .

التلقين النفسي يسبب المرض أو يداويه :-

الأطباء الجدد يهتمون بمسألة التلقين أيضاً ، فهناك أجنحة خاصة لمعالجة الذين يمرضون بالتلقين - وكذلك تلقين الصحة مؤثر في السلامة أيضاً ، حتى أنه يقال في الملدوغ هناك أمل في تحسن حاله ما دام لا يعلم بعضه الثعبان ، وحين يعلم ذلك يصعب الأمر .

ولعل السبب في ذلك هو أن الخوف والرعب من عضه الثعبان يؤثر في ضغط الدم ويجعله يصل إلى القلب أسرع ويفعل فعله .

أنا وأنت لسنا هذا الجسد، وهذا الجسد مركب لنا، وحقيقتنا غير قابلة للظهور لأنها غير مادية ولكنها تعرف من آثارها ، ومن آثارها حركة هذا الجسد وأعمال الروح في هذا البدن ، قوة الحافظة من آثار الروح وشاهد على تجرد وبقاء الروح .

لا يمنعها عمل عن عمل :-

من البراهين على تجرد الروح وقدرتها هو أنه لا يشغلها شأن عن شأن، فالروح لا يلهيها عمل عن أداء عمل آخر، أنت تضع اللقمة في الفم، وتذكر حلاوة الطعام، الأسنان تمضغ... الذائقة تدرك... وتتكلم أيضاً وفي نفس الوقت عيناك تنظران وأذناك تسمعان، وفي وقت واحد العين ترى والأذن تسمع والأسنان تمضغ والذائقة تذوق واللسان يتكلم، وفي نفس الوقت يمكن أن يكون الفكر مشغولاً ويسأل الحافظة مثلاً بأن هذا الطعام هل هو أطيب من ذاك الطعام وما

هي خصوصياته ؟ وفي الوقت الذي يكون الجسد بجميع أجزائه مشغولاً فالإحساس يعمل ، والقلب يدق ويتنفس ، وتعمل جميع القوى الباطنية والهاضمة .

تعدد منافذ التنفس حكمة إلهية : -

من حكم الله سبحانه وتعالى أن جعل للتنفس طريقين، وجعل أحدهما على سبيل الاحتياط بحيث إذا عطل أحدهما قام الثاني بالواجب . منافذ الأنف مستعدة للعمل بحيث إذا كان الفم ممتلئاً بالطعام فلا حاجة لأن يخرج اللقمة باستمرار ويتنفس ثم يدخل اللقمة مرة أخرى .

ثقباً الأنف لهما حكمة أيضاً، فمن الممكن أن يصاب الإنسان بالزكام ويغلق أحدهما فيمكنه أن يتنفس بالآخر .

في حالة النوم وعندما يكون الفم مغلقاً يجب أن يتنفس من الأنف ، وفي بعض الأحيان يغلق كلا ثقبَي الأنف ، فطريق التنفس سيكون من الفم الذي له اتصال كامل بالمجاري التنفسية .

الخلاصة أن الإنسان في وقت واحد تصدر منه مئات الأعمال حتى يعرف ربه ويدرك قدرته القاهرة .

قدرة الله تتجلى عند الموت . -

« يا من في الممات قدرته » .

الأدعية والمناجاة الواصلة إلينا من أهل البيت مليئة بالحكم والحقائق بحيث يتمكن الإنسان أن يحصل ببركتها على علوم ومعارف ، ويصير رجلاً إلهياً .

من جملة هذه الأدعية دعاء « الجوشن الكبير » الذي يحتوي على أسماء الله الحسنى، والمداومة على قراءته مع التوجه جيدة مخصوصاً في شهر رمضان المبارك وليالي القدر .

أذكركم بجملة واحدة منه وهي « يا من في الممات قدرته » فكل من يريد أن يفهم قدرة الله عليه أن يذكر ساعة الموت، فعند الممات تعرف ما هي قدرة الله .

العجز بعد القدرة : -

هذا الإنسان هو ذلك الذي يرفع ثلاثين كيلو غراماً ، ساعة كاملة ، ويتحدث بلسانه هذا على المنبر ، أما الآن فهو يريد أن يقول كلمة واحدة « لا إله إلا الله » ولا يتمكن ، فما الذي أصاب هذا اللسان ؟

آنان كه بيك زبان دوصد سخن میگفتند
آیاچه شنیدند كه خاموش شدند
رو بکورستان دمی خاموش نشین
آن سخن گویان خاموش راببین

« أولئك الذين كانوا بلسان واحد يتحدثون مئات الأحاديث فما الذي سمعوه حتى سكتوا ؟ توجه إلى المقبرة الساكنة بهدوء ، لتشهد

أولئك المتحدثين ساكتين وقد صمتوا » .

كيف كان الظالم بهذه الأيدي يضرب المظلوم ، أما الآن فالبعوض يحيط على وجهه وهو غير قادر على دفعه ، فبعد الآن اليد لا تستجيب لأوامره ولا تطيعه ، اللسان لا يتحرك ، وهذا الذي كانت أقدامه تتحرك بمجرد أن يشاء هو الآن ضجيج ، ولا شيء من أعضائه يمثل لأوامره ، يتمنى أن يقوم بعمل ما ولكن لا قدرة له بعد الآن !

في ساعة الموت يكون معلوماً أن القدرة لم تكن قدرته ، في ساعة الموت يتضح أن القدرة كانت قدرة الله ، إنما كنت تخدع نفسك .

لا تغتر إذا أصبت شيئاً من الأموال أو الرئاسة ، فكرسي الرئاسة يقصم ظهر الإنسان ويسلب حظه ، إنه يتصور أن كل شيء هو ملك له .

بهلول في المقبرة وجماجم الموتى :-

وزير هارون الرشيد مر إلى جانب مقبرة ورأى بهلول وحيداً بين المقابر ، وهو مشغول بنقل العظام اليابسة من مكان لآخر ، فسأله : ماذا أنت صانع يا بهلول ؟ فأجاب : إنني أصنف الموتى ! أريد أن أفصل بين الرؤساء والمرؤوسين ، بين الوزراء والحجاب والخدم ، ولكني لم أتمكن ، فهذه الجمجمة لا تختلف عن تلك الجمجمة ، وقبورهم تتشابه أيضاً ، وهذه الكلمات كان ينصح هذا الوزير .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق
أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾^(١)

صدق الله العلي العظيم

العين الحيوانية ترى الجسم فقط :-

كان الحديث في بيان تطبيق معرفة النفس بمعرفة الله . وقد ورد
في الحديث المشهور عن النبي الأكرم (ص) : « من عرف نفسه فقد
عرف ربه » وقد ذكرت له عدة تطبيقات ومن جملتها هو عدم
الإبصار ، يعني أن عين الإنسان لا يمكنها أن ترى الله ، وليس لها أن
تنكر وجوده لمجرد أنها لا تراه ، لأن رؤية العين الحيوانية مرتبطة

(١) سورة فصلت الآية : ٥٣ .

بالجسد ، هذا الجسد الذي يشغل حيزاً من الفراغ والجسم الكثيف
ذي الظلال .

لا يمكنك رؤية ذاتك : -

ولأجل إدراك هذا المعنى ارجع إلى نفسك ، فهل يمكن لشخص أن
ينكر نفسه باستثناء من أصيب بالآوهام أو أصبح سوفسطائياً ، وإلا
فالعقل حاكم بأنها موجودة ، فهل يمكنك أن ترى نفسك يعني أن
ترى نفسك الناطقة ؟

وهذا الذي تراه فهو الجسد والمركب ، أما المدير لهذا الجسد
والمدير له ، ذلك الذي يدرك الكمال هو مجرد وليس بجسم ولا يرى
بالعين ، فخالق هذه النفس بطريق أولى لا يرى بالعين .

البحث في علامات الوجود : -

فكما أن النفس تعرف من آثارها فخالق لهذا العالم يعرف من
آثار صنعه وأفعاله ومراتب خلقته ، ويحصل به اليقين .

النطق والبيان والحركات الحاصلة في البدن من آثار الروح ، فمع
عدم وجود الروح فالجسم جماد .

آثار الخالق أيضاً على أبواب وجدران هذا العالم ، وكل الأشياء
علامات على وجود وعلم وقدرة الله سبحانه وتعالى .

النفس المجردة لا تحتاج إلى مكان :-

من وجوه التشابه في حديث « من عرف نفسه فقد عرف ربه » هو مسألة الأينية والمكان المحيط بالجسد ، فالنفس ليس لها مكان، وخالق العالم أيضاً لا مكان له ، ولا يمكن أن يقال أين الله ؟ في العرش والسماء .. في الأرض .. الفوق والتحت بالنسبة إلى الله غلط لأن الذي بحاجة إلى المكان هو الجسم وليس خالق هذا الجسم .

قلنا إن الجسد - يعني المركب - هو المحتاج إلى المكان ، أما المجرد فلا حاجة له إلى المكان .

وقول الإمام أمير المؤمنين (ع) « أين الأين فلا يقال له الأين » فهو خالق المكان ولا يمكن أن ننسبه إلى مكان ، هو الخالق للسماء والأرض فلا معنى لأن يكون مكانه هناك .. خالق العرش وليس مكانه العرش .

الله لا مكان له ، والشاهد على ذلك هو روحنا ، فقطعاً إن لكل واحد منا روح ... أين روحنا ؟ من الرأس حتى أطراف أصابع القدم في كل مكان تضع يدك وتقول هذا هو مكان الروح فهو غلط ولو قلت إنه ليس بمكان للروح فكذلك غلط وليس له معنى ، فلا يمكن أن يقال إنه مكان الروح ، ولا يمكن أن يقال إنه منفصل عن الروح .

المكان غير منفصل عن الوجود أيضاً : -

ذلك لأن الروح موجود مجرد ومحيط بالجسم وشامل لظاهر وباطن البدن وليس محلاً لشيء، وهي داخلة في الجسد فهي لا مكان لها أصلاً بل هي موجود مجرد وليس لها ظل، وأيضاً لا يوجد مكان في الجسد وهو خال منها . « يا من لا يحويه مكان ولا يخلو منه مكان » .

العضو الفاقد للروح مفلوج وميت :

﴿ ألا إنه بكل شيء محيط ﴾ الله سبحانه وتعالى بكل شيء محيط ولكن لا معنى لأن يكون له مكان ومحل ، إذا أردتم أن يتوضح المطلوب أكثر فارجعوا إلى روحكم التي ليس لها مكان . أي عضو من أعضاء جسمك من رأسك إلى قدمك إذا لم يكن له روح فهو مفلوج وميت، ومع ذلك فالروح ليست في ذلك المكان، ليس هو مكاناً للروح وليست الروح منفصلة عنه . كذلك جميع أجزاء عالم الوجود ليست مكاناً لله وليست خالية من الله .

كل مكان تذهب إليه فالله موجود ، كل مكان تكون فيه فالله معك^(١) وفي نفس الوقت ليس لله مكان، وتقول كيف يمكن ذلك ؟ مثال ذلك الروح بالنسبة للبدن .

(١) ﴿ وهو معكم أين ما كنتم ﴾ (سورة الحديد : الآية ٤) .

· حقيقة النفس خافية عن الجميع :-

ومن الأوجه التي ذكروها هي أننا نتيقن من وجود النفس فقط بواسطة آثارها وعلاماتها وأفعالها، أما إدراك حقيقتها وماهيتها فهو محال ، ولا يمكن لأي أحد أن يدرك حقيقة النفس وما هي الروح الإنسانية ، لا أحد يعلم . . . لا أحد يعلم عن حقيقة نفسه لحد الآن . نعم يمكن إدراكها فقط بواسطة أفعالها في هذا البدن وفي غيره كذلك .

كذلك لا يمكن إدراك الذات الإلهية أيضاً . . أيها الإنسان الذي لم تدرك نفسك إلى الآن، ولا يمكنك أن تدركها وتفهمها، كيف تريد أن تفهم الذات الإلهية وتحيط بحقيقة الله ؟ ١٩

بل إنك لا تعلم ولا تدرك كيفية عمل مخلوق واحد من المخلوقات الإلهية، يعني عزرائيل ملك الموت كيف يقبض الأرواح وعن أي طريق يدخل وعن أي طريق يخرج ؟ ١٩

الأرض كلها كالمائدة لعزرائيل :-

وروي عن رسول الله (ص) أنه سأل ملك الموت في ليلة المعراج: كيف تقبض أرواح الناس الذين هم في الشرق والناس الذين في الغرب بوقت واحد ، فقال: إن الله تعالى أعطاني القدرة بحيث إن الأرض بالنسبة لي كمائدة الطعام ، ففي وقت واحد أتمكن أن أقبض أرواح الموجودين فيها .

فما يقال من أن التفكير في ذات الله حرام إنما هو لأن إدراكه محال ولا نتيجة له سوى الحيرة، فليس للمخلوق الصلاحية لأن يحيط بالخالق وإنما فقط يمكنك من خلال آثار الله وفعل الله وصنع الله أن تدرك الله وليس للبشر طريق أكثر من ذلك ليتفكر في ذات الله .

وحدة الروح مثال على وحدة الخالق :-

نحن ندرك أن الفاعل واحد عن طريق الفعل الواحد ، كل هذه الأجهزة لها مدير واحد ، مئات وملايين مراتب الموجودات كلها ترجع إلى واحد ، كما أن الروح تعمل مئات الأعمال مع أنها واحدة . وحدة الروح مع كثرة مراتب ظهورها علامة جيدة على وحدة الخالق في عالم الوجود ، المدير والمدير واحد « يدبر الأمر » ، جزئيات الأمور ووكلائها بيد الله، كما أن جسدك الذي تقع جميع أجزائه تحت نظر الروح ، فمثلاً أحس بأن السن العلانية تؤلني أو أن شوكة أصابت قدمي فيجب أن أزيلها أو أعالج تلك السن .

مع وجود مئات الأفعال فهو واحد :-

فكما أن مدبر الجسد مع مئات الأفعال واحد كذلك مدبر عالم الوجود مع الأفعال غير المتناهية فهو واحد . فرغم هذه الكثرة في مراتب الوجود إلا أنه « لا إله إلا الله » ، والخلاصة كما أن حقيقة النفس الإنسانية لا تدرك فكذلك الذات الإلهية أيضاً لا تدرك، أما أفعاله التي تشاهدها فهي تشهد بوجوده ووحدانيته وتقول أشهد ألا

إله إلا الله .

أنت لا ترى الله ولكنك ترى أفعاله . من مشاهدة أفعاله تفهم وحدانيته وعلمه وقدرته ، كما أنك لا ترى روحك وإنما ترى أفعالها .

أفعال الروح في الجسد : -

بعض الأفعال تؤديها الروح في البدن ، والبعض الآخر تؤديها بصورة منفصلة عن البدن وبدون توسط الجسد .

الأفعال التي في هذا البدن هي النظر ، السمع ، الذوق ، الشم ، اللمس ، والتنفس ، الهضم وغيرها ، وكل هذه الأفعال إنما هي للروح ، فعندما تنفصل الروح عن الجسد لا تعمل أية واحدة من هذه الحواس ، مثل السراج عندما ينطفئ فيفهم أن النظر لم يكن راجعاً إلى هذه العين وإلا فالعين موجودة في مكانها .

الموت علامة على فعالية الروح : -

الموت بالقياس إلى اللحظة التي تسبقه كم هو شاهد على فعالية الروح ؟ أجهزة البدن موجودة فقبل ثانية واحدة كان يرى والآن لا يرى ، كان يسمع ولكن مع خروج الروح لا يسمع ، إذن يفهم من هذا أن السمع لم يكن لهذه الأذن ، النطق لم يكن للسان وإلا فاللسان قبل الموت هو نفسه بعد الموت ، النطق كان للروح .

كل الأفعال الظاهرة في هذا الجسد تشهد على الروح مع أننا لا

ندرك حقيقتها ولا نعلم في أية مرتبة من الوجود ، وهي مجردة من الجسم ولكننا نفهم من أفعالها أنها موجودة، ووجودها عجيب ، السراج الذي كان طيلة وجوده في هذا الجسد يفعل الأمور الكثيرة، وبمجرد أن ترك هذا البدن لم يعد هذا البدن يفترق عن الخشب اليابس والحجر .

الروح والفعاليات الخارجية : -

هذا الذي ذكر هو قسم من الأفعال التي تصدر من الروح بواسطة البدن ، أما القسم الآخر لأفعال الروح فهو غير مرتبط بالجسد ودلالته أقوى ، وهذا الموضوع الذي أريد أن أذكره مستفاد من حديث عن الإمام الصادق (ع) في الرواية الأهلية التي أثبت فيها الإمام لذلك الرجل الهندي تجرد الروح .

الماديون يتخيلون أن الإنسان هو هذا اللحم والجلد مع أنه من الأمور المسلمة عند الإلهيين أن هذا اللحم والجلد هو آلة للروح .

أفعال الروح في حالة النوم : -

الإمام (ع) يضرب عدة أمثلة لهذا الرجل الهندي ومن جملتها يقول :

ألم تشاهد في المنام أنك تضحك أو تبكي ؟ فأجاب ، نعم بكثرة . فقال : ألم تشاهد أموراً مفرحة أو مخيفة ؟ فقال : نعم بكثرة .

فقال : ألم تشاهد في المنام أنك تأكل طعاماً لذيذاً أو تشم عطوراً

طيبة ؟ فأجاب : بكثرة ، فقال له الإمام :

إذن من هو ذلك الذي يضحك ويبكي ويرى الصور الجميلة والمخيفة ويلتذ ويحزن ويأكل الأطعمة اللذيذة ؟ فلو كان هذا الجسد فهو ملقى في زاوية مغمض العين ولسانه جامد في فمه .

الاحتمام علامة أخرى : -

الرجل الهندي يسأل سؤالاً طفولياً ، يقول إن هذه الأحلام التي نراها في المنام كلها سراب وخيال ، وعندما نستيقظ لا نجد لما رأيناه أثراً .

لكن الإمام يجيبه : - ألم تشاهد بعض الأحيان في المنام بأنك تزوجت ؟

فقال : نعم ، فقال الإمام : ألم تشاهد آثار هذا المنام على شكل احتلام بعد أن تستيقظ ؟ فقال : نعم .

في ذات الإنسان كل ما يقع بواسطة هذه الأدوات في الحقيقة إن هذه الفعاليات تقع في الروح . ففي روحه سمع وبصر ونطق وأدنى الفعاليات الأخرى والتي يشاهد نماذج منها في عالم المنام أو في عالم المكاشفة .

الأحلام الصادقة وقدرة الروح العجيبة : -

الروح ترى المستقبل ، روح المؤمن ترى أموراً تقع بعد سنة من

الزمان ، يدرك في المنام . . . يعلم من هذا أن هناك روحاً وهناك مدركاً .

الحقائق التي يراها في المنام لا ربط لها بالمادة إطلاقاً ، لأن المادة ليس لها شعور ، لو وصلنا آلاف الذرات مع بعضها فلا يتحصل من ذلك شعور ، الشعور ليس للمادة . . الروح الإنسانية تفهم أشياء لا ربط لها بالمادة .

آلاف الشواهد على هذا المطلب . . . ونادر جداً من لم يفهم من عالم المنام المتطلب التي تدل على تجرد النفس . وهذه الشواهد غير المتناهية وإن لم يمكن عدّها ولكن .

آب دريا را اگر نتوان كشيد
هم بقدر تشنگي بايد چشيد
إذا لم يكن بالإمكان شرب ماء البحر بأجمعه فلا أقل يجب
الشرب بمقدار العطش .

وسأبين رواية وقصة كنموذج على أن روح الإنسان ما وراء المادة ومن عالم آخر ومن هناك تفهم أموراً لكي يتوضح الموضوع بصورة أحسن .

المنام العجيب لنادر شاه :-

في كتب التواريخ نقلوا قصة عن نادر شاه افشار وقد ذكرت هذه

القصة في كتاب (مجمل التواريخ) أيضاً .

عندما كانت الليلة الأخيرة من عمر الشاه نادر ، لم يأخذه النوم فكان يخرج ويتمشى في الخارج ثم يرجع ، وكان حاله وخيماً جداً في آخر عمره ، ولا أحد يتجرأ على سؤاله عن السبب في عدم نومه في هذه الليلة ، باستثناء شخص واحد واسمه (حسن علي) - معين الممالك - وكان من خواصه ويحدثه بأسراره ، فجرأ أن يقترب منه ويسأل : « ماذا حصل لك بحيث فاركك النوم هذه الليلة » ؟

فقال نادر : أقول لك ذلك بشرط ألا تقوله لأي أحد وإلا فسيكون مصيرك القتل . ثم قال له : الحقيقة هي أني قبل أن أصبح سلطاناً رأيت في المنام كأن حارسين أخذاني معهما بكل احترام إلى مكان كان الأئمة هناك فرأيت اثني عشر نوراً حاضرين في ذلك المكان وما أن اقتربت منهم حتى أمر من كان يظهر أنه أكبرهم بأن يأتوا بسيف . ثم أخذه وشده إلى جنبي ، وقال بأنني أرسلك من أجل إصلاح إيران بشرط أن تسير مع الناس بسيرة طيبة .

غداة ذلك المنام بدأت تظهر ملامح التوفيق والصعود حتى وصلت إلى السلطة وفتحت الهند وكما تعلم أنها فتوحات عديدة وانتظمت أمور المملكة (ولكن في الأواخر كان الوضع سيئاً جداً وقد ظلم كثيراً فكم قد فقأ من العيون وكم قتل من الأبرياء) .

افتحوا السيف عن حزامه : -

وفي هذه الليلة - وبمجرد أن أخذني النوم - رأيت في المنام ذينك

الحارسين ولكن مع فرق ، وهو أنها في المرة الأولى كانت معاملتهما لي مصحوبة باللطف والسود ، والآن أخذوني معهم بالعنف والذلة إلى ذلك السيد الذي شد لي السيف ، وما أن وصلت أمامه حتى نهرني بشدة وقال : هل هكذا تكون معاملة المسلمين ؟

عند ذاك أخذوا السيف مني وطرّدوني بأشدّ الأهانات ، وأنا خائف من هذا المنام .

وفي سحر تلك الليلة قتلوه وأرسلوا جثته إلى بيته الذي بناه لنفسه .

سر شب سر قتل تاراج داشت
سحر گه نه تن سر نه سرتاج داشت
نعم أنه كان له الأمر والملك أول الليل ، فلما صار السحر لم يكن للجسد رأس ولا للرأس تاج .

المسكين فهم شيئاً من هذا المنام، وهو أن نفس ذلك الذي رفعه هو الذي سوف ينزله . وهذا المنام يثبت لنا بصورة جيدة تجرد النفس .

النعمة والنعمة مرتبطة بعمل الأشخاص : -

إذا أعطيت السلطة والمال لأحد الأشخاص فليس ذلك لأنه إنسان جيد وله الأهلية لذلك . بل إن المال والجاه لأجل الامتحان ،

فعندما تعطي هذه لشخص يكون معلوماً بعد ذلك انها نعمة أو نعمة ، فإذا عدل وأحسن بوسيلة هذه الأموال والسلطان فيفهم من ذلك أنها كانت نعمة، ولو كانت خلاف ذلك فيعلم منه أنها كانت بلاءً وليست نعمة .

وإذا رأيتم أنه نجا من الخطر فليس لأنه إنسان جيد وله صلاحية ذلك، بل إنه نجا من الخطر ليزداد إثمه ويثقل حمله ولتظهر استعداداته ويمتحن .

الذهب والقدرة من وسائل الامتحان : -

وكما يقول القرآن : ﴿ ولا يحسبن الذين كفروا أنما غلبى لهم خير لأنفسهم إنما غلبى لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين ﴾ وذلك لسوء اختيارهم وعاقبتهم فالمال والقدرة عندما تعطي لأي فرد فذلك لأجل امتحانه ولتظهر بذلك سعادته أو شقاوته .

غرضي من هذه القصة هو أنه أي دخل لهذا اللحم والجلد في إدراك هذه الأمور ؟ وإدراك أن السلطة مربوطة بولي الأمر فإذا لم يشأ الإمام لا يكون ذلك ؟ فهذا النوع من الإدراكات مرتبط بالنفس وليس بالجسد .

علي (ع) يقطع رأس الناصبي في المنام : -

أنقل لكم معجزة عن علي (ع) أيضاً : القطب الراوندي ينقل

عن متحدث يقول: كنت أبتغي السفر من الموصل إلى مكة المكرمة فذهبت إلى بيت أحمد بن حمدون وهو جار لي وكان من أعيان وأشرف الموصل ومن أشد أعداء الإمام علي (ع) ولأجل حق الجار قررت أن أذهب لوداعه ، فلما ذهبت إليه قلت: هل من خدمة أتمكن من أدائها . فجاء بقرآن وقال : -

- أقسم لي بهذا القرآن إنك سوف تعمل ذلك ، فقلت :

- لا بأس ، إذا كان بإمكانك ذلك فسوف أعمل ، فقال :

- إذا ذهبت إلى مسجد النبي (ص) ووقفت عند قبر الرسول (ص) فقل :

- هل قلت الرجال وأصاب الأزواج قحط حتى تركت الجميع وزوجت فاطمة لعلي الذي كان أنزع وبطيناً و... فلماذا صنعت ذلك ؟

يقول هذا المتحدث بأني نسيت هذه الوصية حتى كان اليوم الأخير وفجأة تذكرت ذلك في مسجد النبي (ص) وقلت: يا رسول الله أنا خجل منك ولكنه أقسم عليّ أن أقول لك ذلك .

وفي الليل رأى علياً (ع) في المنام وأخذه الإمام معه إلى الموصل وأدخله إلى بيت أحمد بن حمدون، وكان أحمد نائماً فأزاح الإمام عنه الغطاء وذبحه من رقبته بسكين كانت في يده، وأزال رأسه النجس عن جسده، ثم مسح السكين الملوثة بالدم بذلك اللحاف فبقى من ذلك أثر على اللحاف بشكل خطين أحمرين من الدم علامة على ذلك، ثم أنه

رفع السقف بيده المباركة ووضع السكين في أحد زوايا الحائط .

ثم قال : إني انتبهت من ذلك المنام المخيف وأخبرت رفاقي بأنني رأيت مناماً مخيفاً بهذا الشكل وأثبت تاريخ ذلك أيضاً .

- وعندما وصل إلى الموصل استطلع الخبر فقليل : -

- نعم في الليلة الفلانية وقع حادث القتل، ولكن لم يعلم من هو القاتل لحد الآن، ولم يكن سارقاً وإلا فالمفروض أن يسرق بعض الأشياء، لكن كل شيء كان في مكانه الطبيعي وهذا الذي حير الجميع ولذلك فإن حكومة الموصل سجنّت جميع الجيران للتحقيق معهم والعثور على القاتل الذي لم يعرفوه لحد الآن .

فقال لرفاقه في السفر لنذهب إلى هذا الحاكم وننقذ هؤلاء المساكين من السجن .

فلما وصلوا إلى الحاكم قال له : إن جميع أصحابي يشهدون على أنني رأيت مناماً بهذه الصورة وقد سجلت تاريخه أيضاً وليس قاتل هذا الشخص سوى أسد الله الغالب علي بن أبي طالب (ع) .

وهناك علامتان لذلك إحداها هي أثر السكين على اللحاف في مكانين ملوثين بالدم والأخرى هي أن السكين موجودة في القسم الفلاني من السقف .

ويأتي نفس الحاكم ويتحقق من صحة هاتين العلامتين ويطلق سراح جميع المسجونين ، والبعض منهم يصيرون شيعة ويرجع جميع

أقربائه عن الناصبية ويصبحون من الموالين لعلي (ع) .

ما هي المادة العديمة الشعور وما هو الإدراك المجرد ؟

وأخيراً فالأمور التي يراها الإنسان في المنام وتتحقق بعد ذلك راجعة إلى الروح ولا ربط للجسد واللحم بهذه الإدراكات فالمادة العديمة الشعور كيف تدرك المستقبل وتفهمه ؟

المرحوم الحاج نوري ألف كتاباً في الأحلام الصادقة والتي تتحقق وتقع في الخارج، وواقعاً يتعجب الإنسان من كيفية هذا الجهاز العجيب الذي يحصل على أخبار الملك والملكوت ويستطيع إدراك الجزئي والكلي .

احصل على ذاتك : -

النتيجة التي نستفيدها من أبحاث الأيام السابقة هي أنه يجب علينا أن نفكر بأنفسنا أن نحصل على ذواتنا .

هناك كلمة تجري على لسان العوام ولكنها تحوي معني عميقاً
« اهتم بنفسك » ولكن لا يدركون معناها ويتصورون بأن المعنى
« اهتم ببدنك » فهل أنت حيوان ؟!

اهتم بنفسك يعني اهتم بذات وحقيقة نفسك وإلا فأنت لست
هذا الجسد، أحصل على نفسك حتى تجد لك طريقاً عند أولياء الله

غداً، وإلا فمهما كان لجسدك من بريق ولمعان وبقيت نفسك قبيحة . .
فما الفائدة ؟!

احصل على الهيئة الملوكوتية :-

ماذا يجب أن يكون لدى المرأة التي تريد أن تذهب عند فاطمة
الزهراء ، الزهراء تنظر إلى الباطن ، لعله يكون في بعض الأحيان
حيواناً متوحشاً . البعض يكون له أقبح صورة عند خروجه من البدن
وأنتن رائحة . آلاف عمليات التجميل ومئات العطور . . فما
الفائدة ؟!

ويروى أنه بعض الأحيان تصدر منه كذبة فتخرج من فمه رائحة
كريهة تصل إلى العرش وتؤدي الملائكة فيلعنونه بأجمعهم .
هذه الرائحة الكريهة تخرج من ذاته بالرغم من أن جسمه
معطر .

« يا من أظهر الجميل وستر القبيح . . . أسألك يا الله أن لا
تشوه خلقي بالنار » .

لا يكن لباسنا من النار :-

تعال وتدارك ذلك الجمال الحقيقي ، الجمال الذي أصله محمد
(ص) ، الشمس والقمر موجودان في الدنيا، أما في الحشر فلا شمس

ولا قمر . . لا نور يضيء إلا بجمال محمد (ص) وكل من أصبح
محمدياً ، هناك جمال الروح لا البدن . . . لا تظلم نفسك إلى هذا
الحد ولا تكن غافلاً عن روحك .

هذه الوسائل كلها من أجل راحة الجسد ! اعمل لقبرك أيضاً . .
الروح هي التي تريد الرزق في عالم البرزخ وليس البدن . . تريد
لباساً ، والويل إذا كان لباسك من نار^(١) .

لو ترى كيف أن النار تحيط بالظالمين . . النار تخرج من الظالم
وتحيط به .

لا تقعدكم الملهيات عن ذكر الله : -

ألا يجب على الإنسان أن يهتم بنفسه؟؟ . . هذا التأكيد في
القرآن بأنه لا تلهكم الأموال والأولاد عن ذكر الله . . أيها الأغنياء
أيها الرؤساء . . لا تنخدعوا بالمال والرياسة . .

كم صنعوا لكم من الملهيات حتى لا تهتموا بأنفسكم . . . القرآن
يقول كفى اللعب واللهو . . ﴿ أهلكم التكائر ﴾ حتى زرم
المقابر ﴿ . لا يغرنكم الشيطان فتركوا إصلاح أنفسكم . أهتم
بنفسك ، يعني بروحك لا ببدنك .

(١) ﴿ سراييلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ﴾ (سورة إبراهيم ، الآية
٥٠) .

﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم
الفاسقون ﴾ لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة
هم الفائزون ﴿ ^(١)

صدق الله العلي العظيم

* * *

(١) سورة الحشر ، الآيتان ١٩ - ٢٠ .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية *
فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي ﴾^(١) .

صدق الله العلي العظيم

النفس المطمئنة مرضية عند الله : -

الواقع أن على أهل الإيمان وأهل القرآن أن يفهموا تلك المقامات
المذكورة في القرآن والوعود التي أعطيت ويدركوها، فما أكثر الذين

(١) سورة الفجر الآيات : ٢٧ - ٣٠ .

أصابهم الغرور لعدم عملهم ببعض الحقائق، ولم يصلوا إلى ما هو المطلوب .

من جملة تلك الأمور مقام النفس المطمئنة، التي بينها الله تعالى في آخر سورة الفجر وعدّها من مراتب الإيمان، ووعد بصراحة صاحب النفس المطمئنة بأن يصله نداء الرحمن الإلهي في ساعة الموت بأن ارجع إلى ربك راضياً مرضياً وادخل الجنة بدون أي قيود .

المشقة الآن سبب الراحة غداً : -

من ساعة الموت وحتى الوصول إلى الجنة والسعادة . قد يكون دعاؤنا في بعض الأحيان « إلهي اجعل موتنا بداية لسعادتنا وراحتنا » البعض يتصور أن هذا الدعاء من باب الأدب والمجاملة ، كلا إنه الحقيقة « فالذي لا يتعب لا يحصل على الكنز » .

القرآن المجيد يؤكد على أن الوصول إلى المقامات العالية ومن جملتها الراحة عند الموت ناتج من السعي والعمل الجاد لنفس الإنسان^(١) .

القرآن المجيد يوضح هذا المعنى في بيانات متعددة وفي آيات مختلفة ومنها : ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾^(٢) فما كسبت من

(١) ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ﴾ (سورة النجم آية ٣٩ - ٤٠) .

(٢) البقرة : آية ٢٨٦ .

اعمال خيرة ستكون نافعة لها ، وما كسبت من أعمال قبيحة ستكون
بضررها .

فالمسألة هو مقدار سعيك وتحملك المشقة في طريق العبودية
للله . . والذي لم يصل إلى النفس المطمئنة لا يكون موته أول راحته .

إلى جوار أهل البيت والجنة الخاصة : -

﴿ يا أيها النفس المطمئنة ، ارجعي الى ربك . . فادخلي في
عبادي . . ﴾ ادخلي مع خاصة عبادي وفي جوار محمد وآل محمد فأهل
البيت هم عباد الله المقربون . . فالذي يتصل في ساعة الموت
بالأرواح العالية هو الشخص الذي كانت النفس المطمئنة من نصيبه
وقد وصل إلى مقام الاطمئنان بحيث يدخل بعد الموت مباشرة إلى
جوار أهل البيت بدون رادع وحاجب، ويدخل جنة الله الخاصة
﴿وادخلي جنتي﴾ ولا يكون ذلك بدون نفس مطمئنة .

قل الغرور وزاد العمل : -

عمل الآخرة مهم ، ولا يمكن بدون جهد وتعب . . ولا يتحقق
بدون استعداد وقابلية . ورغم أنه سبق أن ذكرنا توضيحاً عن النفس
المطمئنة . . لكن مع ذلك ينبغي التفصيل أكثر ليقول الغرور الذي
يحيط بنا ، ولأن الإنسان جهول فسوف ينخدع ويكون مغروراً .
فالغرض من هذه البيانات هو أولاً : - أن يقل غرورنا بمقدار .

وثانياً : - أن نسعى لكي نتوب أكثر ونصل إلى النفس المطمئنة .

النفوس على أقسام ثلاثة : -

البشر بصورة كلية على ثلاثة أقسام :

فإنما أن يكون غارقاً في الكفر وحب الدنيا ومستقراً في أهواء النفس .

أو غارقاً في العبودية وثابتاً في مقام الخضوع بدون أي تزلزل وتوقف في سيره إلى الأمام .

أو متوسطاً، يعني تارة لهذه الجهة وأخرى لتلك الجهة ، فتارة عبد الرحمن وأخرى عبد الهوى والشيطان ، في المسجد يكون عبد الرحمن تقريباً ، ويرجع عبداً للشيطان في السوق والبيت ، فهو مذبذب بين الكفر والإيمان .

يستمتع إلى الموعظة ويتأثر ويندم على أفعاله وماضيه ، ولكن الغفلة تصرعه مرة أخرى وتزل قدمه عن صراط العبودية والرق . . . فهو ليس بمطمئن أو ثابت .

هذه الأقسام الثلاثة التي ذكرتها تستفاد أيضاً من القرآن المجيد .

أما القسم الأول وهو المستقر في الكفر يعني أنه مندمج مع النفس الأمارة بصورة كاملة فهو على مراتب متعددة حتى يصل إلى الفرق في الظلمات التامة ولا يبقى له نور أصلاً .

النفس الأمارة في الحقيقة كافرة بالله :-

هي وقحة إلى درجة يصل بها الأمر إلى إثبات نفسها وإنكار الله . . أيتها النفس ، أنت موجودة أما خالقك غير موجود ؟!

تقول أن الإله الذي لا أراه بالعين كيف أصدق به ؟!

هل ترى نفسك بالعين حتى تصدق بوجودها ولا تصدق بوجود خالقها ؟! كل هذا بواسطة اتباع النفس الأمارة العجيبة الكفر .

يكفي في دناءة النفس أنها ترى لنفسها الاستقلال الكامل ، فلا تصدق أنها لا تملك شيئاً من ذاتها ، بل على العكس فهي ترى أن كل شيء منها : قدرتي . . كمالي . . علمي . . ولها من الـ (أنا ، أنا) حتى يصل بها الأمر إلى إنكار الخالق ، ولا تصدق إلا هذه الحياة الدنيا .

القرآن المجيد يحدثنا عن هذا القليل من الأشخاص بقوله: ﴿ ما هي إلا حياتنا الدنيا ﴾ يجب تأمين الحياة في هذه الدنيا وترتيب أوضاعها .

فقط يفكر بالحصول على الماديات :-

هدفه من الحياة إصلاح وضعيته دنياه فقط ، لم يفكر لحظة بأنه عبد ، وله خالق قيوم ، بل أنه في شك من أمر مبدئه ومعهده . فرغم

أنه لا يشك في قوته الحافظة والواهمة مع أنه لا يراها ولكنه على يقين من أنه يمتلك شعوراً ، وله حافظة ولكن أين شعورك وحافظتك ؟

لأنك لا تراهما بالعين الحيوانية فلا يوجدان عندك ؟

أنت ترى وتسمع أما إلهك . . ؟

من أوضح الأمور وجود رب العالمين . . وعجيب أنت ترى ، ولكن إلهك لا يرى ؟ عينك ترى . . . وخالق العين لا يرى ؟ هل أنت الذي صنعت عينك ؟ كلا . . فذلك الذي خلق هذا الجهاز يحيط بك ويرى بدون واسطة .

أنت تسمعين أيتها النفس عن طريق الأذن ، فخالق الأذن يسمع أحسن منك^(١) هذا المعنى نجده في سورة تبارك باللفظ بيان ﴿ ألا يعلم من خلق ؟ ﴾ ولكن النفس الأمارة لا تسمح بتصديق ذلك .

النفس الأمارة في صراع مع العبودية : -

عمل النفس الأمارة هو أن تسحق الحق ، وتدعي الاستقلال لنفسها ، ولا صلح لها مع العبودية .

هذه النفس الأمارة لها مراتب أيضاً فالبعض هم (٢٤) ساعة على هذه الحالة وفي طول العمر ، والآخر في بعض الأوقات على هذه

(١) ﴿ يعلم السر وأخفى ﴾ - ﴿ سميع عليم ﴾ .

الشاكلة .

وتنمو نفسه الأمانة وترى لنفسها كياناً وتشخصاً وليس فيها خبر
من العبودية .

هذا المعنى موجود في الجميع مع زيادة ونقصان فلا ينبغي أن
نغفل هذه الحقيقة .

نفس ازدرها است اوکسي مرده است
ازغم بي آلي افسرده است

البعض يرى لنفسه الربوبية على تلامذته وخدمه ومن يكون تحت
يده فيتصور الاستقلال . فلأنه تلميذي فيجب عليه تعظيمي . . .
ولأنه خادمي أو خادمتي فعليه أن يكون خاضعاً لي يدعي الاستقلال
والربوبية ويصدر منه ما يتنافى مع العبودية .

يتأثر بالموعظة :-

بعض الأحيان تحصل فيه حالة العبودية بسبب التذكر والموعظة ،
ويلتفت إلى أن وجوده ووجود الجميع مرتبط بالله ، فأنت والناس
الآخرون سواسية ومحتاجون إلى الله .

ولأنه لم تستقر فيه عبودية الدنيا فإنه يتأثر بالموعظة والنصيحة . .
إلهي لقد كنت كافراً والآن أجدد العهد « آمنت بالله » إلهي إنني آمنت
بك ولا أدعي الاستقلال بعد الآن، بل إني عبد ضعيف وعاجز لا

يملك لنفسه شيئاً .

وقد يأخذه الكبرياء في بعض الأوقات ، وقبل ساعة كان يدعي العبودية والتوجه إلى عالم الروح ولكنه رجع إلى كفره الأول ، وهذا المعنى يظهر بصورة أكثر في حالة الغضب ، فعندما يتشاجر مع شخص آخر فلو نظرت إلى باطنه رأيت الكفر بالله وليس له أية حالة من العبودية .

الغلام الذي قتل طفل الإمام السجاد (ع) : -

سمعت في أحوال زين العابدين (ع) أنه حضر عنده بعض الضيوف وكانوا قد جعلوا قطع اللحم في أسياخ ووضعوها في التنور لطبخها . . فذهب غلام وأخرج الأسياخ ، وكان طفل صغير للإمام يسير في طريقه إذ وقعت الأسياخ الساخنة من الأعلى على رأسه من يد الغلام فمات لساعته .

الغلام استعمل ذكائه وقرأ آية من القرآن ﴿ والكاذمين الغيظ ﴾ فأجابه الإمام كظمت غيظي :

فقال : ﴿ والعافين عن الناس ﴾ ، قال : عفوت عنك .

فقال : ﴿ والله يحب المحسنين ﴾ .

فأجابه الإمام : أنت حر لوجه الله .

فالذي لم يتثبت في عبودية الله فما الذي يقوله عند الغضب ، وما

الذي يفعله . . . فمع أدنى انحراف وميل سيخرج بذلك عن عبودية الحق .

وينقل أيضاً عن الإمام زين العابدين (ع) الذي هو بحق زينة العباد، ونتحدث عن عبادته واستمراره في العبودية .

أعتق العبد بعد تنبيهه : -

ورد في المجالس السنية وكشف الغمة وغيرها وكذلك ذكر في منتهى الآمال بأن أحد غلمان الإمام ارتكب جرماً يستحق التنبيه عليه ، فأخذ الإمام سوطاً وضربه به ضربة واحدة ثم عطف السوط فوراً إلى الغلام وقال له إذا أردت الأقتصاص فخذ، فأنا ما ضربتك إلا تأديباً .

فلما رأى الغلام ذلك اعتذر وهو يقول :

قطعت يداي إن أنا فعلت ذلك .

الإمام أيضاً أعطاه مقداراً من الأموال لا أتذكرها بالضبط ولعلها كانت خمسين ديناراً وقال له أنت حر .

لنحذر الخروج من العبودية في حالة الغضب : -

على كل حال يجب الانتباه لئلا نخرج عن صراط العبودية في حال الغضب ، فقبل هذا الحال كان يقول ﴿إياك نعبد وإياك

نستعين ﴿ إلهي أنا لا أعبد سواك ولا أطلب العون إلا منك . فماذا حصل الآن كي تقول إذا أنا لم أكن فسيكون كذا وكذا ، ألسنت أنت الذي كنت تدعي العبودية لله قبل قليل .

كم هو لطيف قول السيد بحر العلوم في منظومته الفقهية .

إياك من قول به تفند وأنت غير الله كنت تعبد
تلهج في إياك نستعين وأنت غير الله تستعين
فتقول بلسان ﴿ إياك نستعين ﴾ ولكنك تقول بعملك أنا أو
آخر .

ما لم يصل إلى حد الأطمئنان فهو مذبذب :-

مقصودي هو الثبات، فما لم يصل بالنفس إلى الاطمئنان والثبات فهو مذبذب في هذه الأوساط ، يصير إلى هذا الطرف أو ذاك ، متزلزل، فتارة يتوجه إلى الله وأخرى إلى الشهوات واللذات إلى أن يصل إلى النفس المطمئنة، بحيث لا يرى لنفسه أي استقلال والوهية أو ربوبية ولا لحظة واحدة ويدرك أنه مربوط بالله .

ونقرأ أيضاً في دعاء كميل « يا من بيده ناصيتي » يا الله الذي بيده حياتي . . . وروحي وبقائي بيده . . . أنا لا أتمكن أن أفق على اقدامي . . النفس الذي يدخل ويخرج نفسه ليس بيدي .

رسول الله (ص) يقول: عندما أغمض عيني فياني لا أؤمل

فتحتها ، إلى هذه الدرجة لست مستقلاً .. فأنا عبد .. مخلوق ،
وليس لي أي وجود مستقل لا في الذات ولا في الصفات ولا في
الأفعال ولا في أية جهة من الجهات .

واللازم لذلك ألا يصدر منه ما يخالف العبودية : -

علينا أن نفتدي بالعباد الحقيقيين وهم المعصومون (ع) ونتعلم
طريق وأسلوب العبودية إلى أن نصل إلى النفس المطمئنة .

انزعاج الإمام من أجل خوف أمة : -

يروى في كتاب المجالس السنية عن سالك بن أنس رئيس مذهب
المالكية : أنه كنت يوماً في أزقة المدينة فرأيت الإمام الصادق (ع) وهو
مهموم ، فكان واضحاً أن أمراً قد سلب راحته ، فسألت عن أحواله :
يا بن رسول الله ما الذي أهمك وسلب راحتك .

فقال : في بيتنا غرفة وسلّم للصعود إليها ، وقد أوصيت في
منزلي بأن لا يصعد عليه أحد ، ولما دخلت المنزل رأيت الجارية معها
طفلها وهي تصعد السلّم ، فلما رأته خافت وسقط الطفل من
يدها . وإنني لم يؤذني موت الطفل إنما آذاني خوف الجارية مني .

يجب أن نخاف من الله لا من المخلوق .. يعني يجب أن تراقب
الله مع عدم وجود الإمام أكثر ، فما نهى عنه الإمام يجب تركه ، كيف
تلاحظ حضور الإمام أكثر من حضور الحق ؟ ! الإمام أيضاً يتألم لذلك

لماذا تخافين مني أكثر من الله وترجفين مني ؟ فأنا عبد !!

يجب أن يكون أشد التذلل لله :-

هناك رواية شريفة بأن شخصاً دخل على الإمام الصادق (ع)
فسلم عليه بكامل الاحترام والأدب ثم قبل رأس الإمام ، بعد ذلك
قبله من جبهته . بعد ذلك قبل يد الإمام ثم أطراف ثوبه ، بعد ذلك
هوى على أقدام الإمام ليقبلها أيضاً ، عند ذاك صاح به الإمام :

« ماذا أبقيت لله ؟ » . .

يعني ما هذا الذي تفعله ؟ تريد أن تقبل قدمي ؟ جعفر عبد
أيضاً فماذا تفعل لله ؟ يعني أن هذا المقدار من التذلل لا ينبغي أن
يكون لغير الله .

النفس المطمئنة الكاملة والدائمة عند الإمام :-

الغرض . . أن العبودية الكاملة التي لا تعرضها الغفلة أبداً ،
مرتبها العليا عند المعصوم ، تلك النفس المطمئنة التي لا ترجع إلى
الأمارة لحظة واحدة . فعدم كونه عبداً للنفس أو الهوى أو الدنيا إنما
يكون في الحقيقة لأنه لا يرى نفسه مستقلاً لحظة واحدة . إنه لا
يعرف رؤية ذاته وعدم رؤية الله ، هذه الحقيقة راجعة إلى المعصوم .

إنه لا يرى نفسه مستحقاً للطاعة ، ويقول عليهم أن يعظموني ؟

لا . . لأن هذه الحالة هي الكفر الحقيقي الذي يجب أن يستغفر منه ويرجع إلى العبودية من جديد .

أطفئوا النيران التي أوقدتموها : -

السيد بن طاووس ينقل رواية في كتاب فلاح السائلين أن ملكاً ينادي في أوقات الصلوات الخمس : قوموا إلى الصلاة أيها الضيوف وأطفئوا النيران التي أوقدتموها .

وينادي في وقت الظهر ، يا من أوقدتم لأنفسكم النيران من أول اليوم إلى الآن هلموا وأطفئوها ببركة الصلاة . أطفئوا تلك النيران التي هي الكفر الحقيقي والخروج عن عبودية الله ، وقل لاني عبد محتاج من رأسي إلى قدمي : لا تصدر منك هذه الأنانيات أنا ، أنا ، يجب أن أكون كذا وكذا ، قل الله وليس أنا ، إلى متى ترى لنفسك استقلالاً وتبرز نفسك ، تعال وقلل من هذه الأنانيات وأطفئ تلك النيران التي أشعلتها .

الصلاة علاج لأشد الأمراض وهي الغفلة : -

واقِعاً إذا لم تكن هذه الصلوات الخمس فالإنسان ليس له طريق إلى الإيمان الحقيقي وستقتضي عليه الغفلة بصورة نهائية . أما والحمد لله أن أرانا طريق الخلاص والفرج ﴿ وأقم الصلاة لذكري ﴾^(١) .

(١) سورة طه الآية : ١٤ .

ويروى عن رسول الله (ص) مثال لهذه الصلوات الخمس ، فلو أن رجلاً كان يغسل جسمه خمس مرات في اليوم فسيبقى نظيفاً باستمرار فهذه الصلوات الخمس كذلك . يعني ما تراه لنفسك من الاستقلال والخوض في الغفلة تعال وقل مع توجه كامل ، ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ فأنا عبد محتاج ومع ذلك فلإني وحيد ومحتاج إلى واحد فقط وهو الله لا غير . كنت غافلاً قبل ساعة وأدعي كياناً لنفسي وأقول أنا وأنا . . إلهي أستغفرك وأتوب إليك . أستغفر الله على كل ما ادعيت من الألوهية فلإني أعبدك وأنا عبد لك .

النفس اللوامة ، أن تحاسب نفسك : -

إذا أراد الشخص الهداية واقعاً والسير في الطريق المستقيم وأن يكون من أهل الاستقامة بعون الله فيجب أن يسارع إلى التوبة كما أمر بذلك القرآن المجيد، أن يستغفر في الأسحار من هذا الكذب، وقل لنفسك: أيتها الكذابة أنت تقولين أنا عبد الله ، فهل هذه الحالة التي كانت قبل ساعة هي معنى العبودية ؟!

ويقال لهذه النفس اللوامة . . . يعني في البداية على الإنسان أن يلوم نفسه ويفهم نواقصه ويحاول إصلاحها حتى يصل إلى النفس المطمئنة . النفس اللوامة يعني الخوض في أعماق النفس والبحث عن عيوبها ولوم النفس عليها ومحاسبتها .

همه عيب تخلق ديدن نه مروت است ومردی
نظري بخويشتن کن که همه کنه داري

الترجمة : -

أن ترى عيوب جميع الناس فذلك ليس برجولية أو سرورة ..
وانظر إلى نفسك التي تحوي جميع العيوب .

وقل لنفسك أيتها الكذابة لماذا تخادعيني إلى هذا الحد ؟

رحم الله الحاج الشيخ عباس القمي ما أنفع كتابه (منتهى
الأمال) وأكثر جاذبيته حين كتب باللغة الفارسية عن حالات
المعصومين الأربعة عشر، فما أجمل ما كتبه، ويجب على المؤمنين الاستفادة
منه .

وهو يذكر في عدة صفحات عن حالات الإمام زين العابدين
(ع) واستغاثته وخطابه مع نفسه فما أجمل العبارات التي كان الإمام
يلوم فيها نفسه .

لوامية النفس مقدمة لاطمئنانها : -

مقصودي أنه يجب إيجاد النفس اللوامة حتى يصل إلى النفس
المطمئنة لا أقل أن يفهم أنه قد انحرف عن جادة العبودية . . . وفي
كل ساعة يكون باطنه المملوكوتي بشكل من الأشكال، فتارة يكون قرداً

وأخرى دُباً ، . . عمل القرد هو التقليد من أجل أن الشخص الفلاني قد عمل العمل الفلاني . فخطب نفسك وذكرها بعيوبها فلعلها تصل بالتدريج إلى النفس المطمئنة : أين أنا وأمثالي وأين النفس المطمئنة ؟ ولطف الله لا يشمل إلا من كان توجهه واحداً ويبقى مستمراً في طريق العبودية لله . حينئذ يصبح عبداً لله . . يصير عبداً للرحمن .

ولا أقل من إيجاد النفس اللوامة الآن ، لكي نرى عيوبنا في طريق عبودية الله ، ثم نتضرع ونستعد للمقامات الأخرى .

لماذا تستولي علينا الغفلة : -

هنا أذكر بعض الفقرات من دعاء (أبو حمزة) للإمام السجاد (ع) بمناسبة النفس اللوامة : -

« سيدي مالي كلما قلت قد صلحت سريرتي وقرب من مجالس التوابين مجلسي عرضت لي بلية أزالتي قدمي وحالت بيني وبين خدمتك سيدي » .

لعلك عن بابك طردتني : -

ما أجل كلمات الإمام قبل هذا الكلام وبعده ، يقول : عندما أنوي القيام لمناجاتك في أوقات السحر « ألقيت علي نعاساً إذا أنا صليت وسلبتني مناجاتك إذا أنا ناجيت » .

« سيدي لعلك عن بابك طردتني وعن خدمتك نحتيتني » .

التفتوا إلى الجملة التي أقصدها وهي :

« أو لعلك وجدتني في مقام الكاذبين فرفضتني » . فقد رأيتني
أكذب ففي الصلاة أقول ﴿ إياك نعبد ﴾ ولكني أرجع إلى عبودية
النفس والهوى والشیطان . . أقول أنا عبد ولكن أدعي لنفسي الربوبية
والاستقلال فأنا كذاب : أقول ﴿ إياك نستعين ﴾ أما قلبي فمشغوف
بالأمور المادية وليس بالله .

لا تكلنا إلى أنفسنا :-

ولكن « فإن عفوت فخير راحم ، وإن عذبت فغير ظالم » .

فأنا بهذه المفاصد إذا عفوت عني وسامحتني وطهرتني فذلك شأنك
وعملك لأنك أرحم الراحمين ، وإن عذبتني وتركتني إلى نفسي فلم
تنظلمني لأنني مستحق لذلك بسبب أكاذيبي ، إلهي بحق محمد وآل
محمد أفهمنا عيوبنا . وارزقنا نفساً لوامة ، وأعطنا حالة التوبة والإنابة
في كل وقت ولا تحرمنا من لطفك .

« لا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً » .

« يا سيدي إنك إن وكلتني إلى نفسي هلكت » .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية
فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾ .

صدق الله العلي العظيم

الرضا من آثار اطمئنان النفس : -

كان الحديث في شرح هذه المنزلة العظيمة من منازل الإيمان ودرجات أهل التوحيد، والتي هي آخر المقامات والمراتب الانسانية والغرض هو الوصول إلى هذه المنزلة حتى تتمكن من الوصول إلى مقام الرجوع إلى الرب ﴿ ارجعي إلى ربك ﴾ وهذه هي مرتبة الأطمئنان التي من آثارها وخصوصياتها مرتبة الرضا والتسليم .

النفس المطمئنة يعني التي في مرتبة الإيمان لا تزال تستمر في صراط العبودية حتى تصل إلى حد الاطمئنان والاستقرار . . .

الاطمئنان الذي يقابل الاضطراب . . المضاد للقلق والخوف .

الاطمئنان بالله يزيل الاضطراب : -

النفس الانسانية عندما تتخيل لنفسها وللماديات استقلالاً في البداية تتصور نفسها أنها هي المالكة . (وفي الحقيقة ليس لنفسه إلا القلق والاضطراب) حتى يصل إلى المرتبة التي يتيقن بأن المالك هو الله فقط ، المستقل هو الله فقط ، فهو وجميع مراتب الوجود مرتبطان به ، فإذا استقر على هذا الرأي واطمأن إليه عندئذ لا خوف ولا حزن عليه لأنه قد أصبح من أولياء الله^(١) .

القرآن المجيد يقول : ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ . . (٢) أن يسير في طريق التقوى سنين . . أن يستمر في صراط التقوى وصراط العبودية . . أن يكون في طريق التفكير والتدبر في عالم التوحيد الإلهي حتى يصل إلى منزلة الاطمئنان حيث لا يوجد فيها أي خوف أو اضطراب .

قلق الناس يسبب الكفر الحقيقي : -

أنتم ترون في هذا الزمان أن جميع الناس من مسلمين ويهود ونصارى وماديين كلهم في قلق وخوف . . هذا الشيء يكتبونه في

(١) ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ . يونس الآية : ٦٢ .

(٢) يونس الآية : ٦٣ .

الجرائد، ونحن أيضاً شاهدون على ذلك بأن حياتنا مليئة بالقلق والخوف . .

لا يوجد هدوء نفسي ، الأشخاص كلهم في قلق وخوف، فمن رئيس الجمهورية وحتى أدنى شخص ، ومن ذلك المليونير أو الملياردير حتى الإنسان المتسول ، لأنهم ليسوا على صراط التوحيد، وبالنتيجة فهو يرى الاستقلالية لنفسه وللماديات ، والخوف والحزن يرجع إلى الماديات ، فإذا خسر أحد الأشياء المادية فسوف يكون محزوناً .

مثلاً لو افترضنا أنه يتصور أن الأموال والأولاد والجاه هي المؤثرة وهي التي ترفع احتياجاته . فلو أنها خرجت من يده فسوف يتأثر بشدة ويأخذه القلق والاضطراب، لأنه يرى أن هذه الماديات هي المؤثرة بصورة مستقلة ، وهي التي تقوم بالأعمال . . فهو يسير وراءها ولا يقنع منها بأي حد ، حتى المليون لا يكفي لسد حاجته ومهما وصلت إليه أملاكه وجاهه وشهرته ومئات محلاته التجارية فلا يزال مضطرباً ، لأنه لا يأمل أن تكفي هذه أيضاً لسد احتياجاته ، فالماديات هي كل همّه ، ما حصل عليه وما لم يحصل ، أما المؤمن فهو خائف وحزين حتى يصل إلى مقام الولاية الإلهية ويضع قدمه في صراط التوحيد في ذلك الوقت ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ فلا خوف ولا حزن عليه لأنه معتمد على المبدأ اللامتناهي .

اترك الـ « أنا » جانباً : -

فلهذا على الإنسان أن يخاف من حالة العصيان هذه ويرتجف ،

عليه أن يتوب من هذا الكفر الذي ارتكبه ويرتكه . . أن يفكر من أنا؟؟ أن يعرف نفسه أولاً ، اترك « أنا » جانباً فأنت عبد مملوك ﴿ ولا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرراً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ﴾ لا يملك لنفسه شيئاً .

فما دمت لم تدرك هذا المعنى فأنت غير تائب من الكفر ، يجب أن تتوب من هذا الكفر والشرك ، واعلم أن لك مالكا وقيوماً ، فوجودك ليس منك بل مرتبط بغيبك ، كل ذرات الوجود مرتبطة بالغيب ، وأنت أيضاً أحد أجزاء الوجود .

الجميع مال الله ومملكه :-

يجب أن تكون على يقين بأنك وكل شيء ملك لله ، وأنا متحير من نفسي أقول وأسفاه بأن الله تعالى قد أسمعنا هذه الحقيقة في القرآن المجيد عدة مرات ولكن أين كنت أنا المسكين لكي أستمع لذلك؟ ﴿ له ملك السموات والأرض - الله ما في السموات وما في الأرض .. ﴾ .

الإيمان

أنت وحياتك والآخرين من الفرش إلى العرش . . كل ذرات هذا العالم ملك لواحد . . . ولا أحد يملك استقلالاً بنفسه ، لا أحد يقف على قدميه ، نفسه ليس باختياره ، لا أحد يتمكن أن يعمل عملاً بالاستقلال ، ولا أثر لأي سبب من الأسباب قبل مشيئة الله .

الأموال لا تؤدي عملاً :-

أيها المسكين . . يا من تتصور أن الملك والمال والجاه والمقام تسد

الحاجة ، ألا ترى كم من أصحاب المليارات لم تنفعهم أموالهم ؟ وإنما مرضوا وماتوا ، ولم تتمكن أن تدفع عنهم الموت أو تدفع عنهم المرض ؟ لكي يدرك الآخرون أن الأموال لا تعمل شيئاً إلا أن يشاء الله .

السلطان الذي مات من الجوع :-

يروى في كتاب المستطرف حكاية : أنه عندما وجدوا صندوقاً أثناء الحفريات إلى جانب النيل ، فتحوا ذلك الصندوق فوجدوا فيه جسداً محنطاً، فعلموا أنه ملكة من الملكات، وقد كان المصريون في السابق يحفظون أجساد الفراعنة والملوك ويحفظونها .

وكان في هذا الصندوق مجوهرات كثيرة مع لوح وقد كتبوا فيه قصة موت هذه الملكة بناءً على وصيتها، وقد كتب على اللوح : بأنه كل من رأى جنازتي بعد موتي فليعلم بأنه حدث قحط في مملكتي في أيام حكومتي، وقد وصل الأمر إلى أني الملكة كنت مستعدة أن أعطي كل هذه المجوهرات مقابل رغيف خبز، ولم أحصل على ذلك حتى مت جوعاً .

لكي يعتبر الآخرون بأن المال لا يرفع نقصاً ولا يسد حاجة لوحده وإنما بمشيئة الله . كذلك القدرة ، فلا تتصوروا أن أحداً يمكنه أن يعمل عملاً بصورة مستقلة ، افتح عينك ولا تغرك هذه المظاهر .

إذا لم يرد إلهك أمراً فلو جمعت كل الوسائل فإنك لا تستطيع أن تفعل شيئاً .

الحجاج يموت وسط النيران من شدة البرد : -

قيل إن الحجاج اللعين أصابه الارتعاش قبل موته، وقد وضعوا عليه أغطية متعددة وقربوا منه ناراً شديدة إلى حد أن جلده كان يتأثر بحرارة النار، لكنه مع ذلك كان يرتجف ويقول (إنني في ضيق من شدة البرد) وبقي هكذا حتى مات بهذا المرض

حتى يكون ما أراد الله . . فإذا أراد الله أن يموت من شدة البرد ، فلو أنهم جاءوا بالنار واللباحف والسجاد فسوف لا تؤثر أي أثر إلى أن يقرر خالق هذه الأسباب ما يريد .

التمرن على التوحيد حتى الوصول إلى اطمئنان النفس : -

قصدي أن عليه أن يتوب من الشرك والكفر لينأى إلى صراط التوحيد ، وطبيعي أن يكون كسلاناً وعليلاً لمدة من الزمن، فعندما يكون موجوداً عند المنبر يستمع إلى الموعظة يقول: استغفر الله ، إلهي إن حالتي كانت سيئة فقد كنت أعتقد غيرك مؤثراً . ولكن عندما يرجع إلى البيت والسوق يتغير وضعه . . فالكفر إلى جانب الإيمان ، فتارة هذا وتارة ذاك ، حتى يصل إلى الاستقرار إذا أراد الله وأعاناه على ذلك .

يجب أن يرى نفسه والأسباب المادية وكل ما سوى الله خاضعة لإرادة واحدة ، كلها تدور وتتحرك بإرادة واحدة من الدودة إلى الفيل . . من الفرش إلى العرش كلها تتحرك بحياة واحدة وتديرها

إرادة واحدة، ويجب أن يحصل له اليقين بهذا المعنى « فاعلم أنه لا إله إلا الله - لا شريك له » .

من الجهل أن يرى نفسه مالكاً :-

كيف تجعل من نفسك شريكاً لله ؟ . . . خاطب نفسك . . . أنت تقولين أردت كذا ، فلماذا صار هكذا ولم يقع ذلك ؟ كيف تدعين المالكية، وما هي النسبة المالكية التي بينك وبين الأموال والأولاد ؟

إنني تعبت كثيراً حتى جمعت هذه الأموال - فلماذا ذهبت من يدي ؟ أنت كنت جاهلاً عندما كنت تتصور أنك مالك حقيقي لهذه الأموال . . هذه الأموال أمانة بيدك من المالك الحقيقي فلا يمكن أن تنسبها إلى نفسك حقيقة . . طبعاً بالنسبة إلى حق المالكية الشرعي فهو محفوظ ، وعلى الآخرين أن يحترموا هذه المالكية . . . ولكن الحديث بالنسبة إلى المالكية الحقيقية والمنحصرة بالله تبارك وتعالى ، فلا تخدع نفسك وتتهم أنك المالك المستقل والحقيقي لها ، المال في الحقيقة مال الله ، أما أنها وصلت إليك بسبب التعب والكسب أو الإرث أو أي وجه شرعي آخر ونسبت إليك فلا تتصور لنفسك ملكاً حقيقياً ومستقلاً وتنسى المالك الحقيقي لها .

الوالدان . . لا يتصورا أنهما المالكان للولد :-

أو بالنسبة للأولاد . . على الأولاد بأن يراعوا حق الأب والأم . . وواجب الأب هو أن يتكفل لباس وغذاء الولد . . وظيفة الأم أن

تقوم بإرضاعه الحليب، فمع إيجاد هذه الأحكام لا تنخدع وترى نفسك ربا لهذا الولد .

تقول أنا الذي ربيته . . فأنت من الذي رباك ؟ الله الذي رباه على يدك وأنت لم تكن إلا وسيلة لا أكثر !! الله الذي ألقى محبة الولد في قلب الأب والأم ، وبتلك المحبة تحملت آلام السهر في الليالي والتعب من أجل هذا الولد . . هذا الحليب الذي تضعيه في فم هذا الولد من الذي صنعه ؟ ومن الذي جعله جزءاً من جسم هذا الطفل في جوفه ؟ . من الذي جعلك تتحرك وتقوم من مقامك غير الله ؟

فلا تدّع ما ليس لك . . عليك ألا ترى نفسك مالِكاً للطفل . . أيضاً لا تدّع لنفسك بأي حق .

من أنا حتى يكون لي حق الطاعة ؟ : -

طبعاً لا ينبغي الاشتباه، فالحق الشرعي بمكانه . فعلى الولد أن يحب ويطيع ويحترم الوالدين . . ولكن من لوازم العبودية والمعرفة أن لا يدعي الأب والأم لنفسيهما حقاً ، فمن أنا حتى يكون لي حق الطاعة .

ويؤمر الأولاد باحترام وإكرام الأب والأم ، لا أن يتصور أنها كل شيء بالنسبة له بل إنها سبب من أسباب الله سبحانه . . . وشكذا .

الدوام على التقوى لازم : -

أريد أن أبين مسألة الاطمئنان . . فالإنسان بحاجة إلى مدة

طويلة لكي يصل إلى مقام الاطمئنان يعني يستقر على صراط التوحيد
ويثبت على كلمة لا إله إلا الله ، انتبهوا إلى الآية الكريمة التي
قرأتها :

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ
آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ .

من هم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟

أولئك الذين آمنوا وكانوا يتقون ، فقد تمرنوا لذلك عمراً
واجتازوا مراتب التقوى ، يستغفر بمجرد أن تزل قدمه . . ويرجع
عندما ينحرف عن صراط التوحيد ، حتى يصل إلى الإيمان المستقر
والمطمئن ويكون من أولياء الله ، فذلك الوقت لا خوف عليه ولا
حزن .

الخوف والحزن ليس للنفس المطمئنة : -

لا يحزن لو انعدمت جميع الوسائل ، لا يجزع على موت أولاده ،
ولا يحزن على ذهاب أمواله فلا ربط لي بالمسألة . . صاحبها الذي
أعطى وأخذ . . والمحبي هو المميت ، فهو قانع بكل ما يراه صلاحاً له
فلا يحزن على فقد أي أمر من الأمور المنسوبة إليه .

فـ « أنا » غير موجودة في الوسط . . لا استقلال في العمل
« العبد وما في يده لمولاه » . رزقي مع من ؟ هل هو بهذا المال
والمحل ؟ فلو كنت أعتقد ذلك فإني كافر ، فذلك الذي خلقتني هو

الذي تعهد برزقي ، فما دمت في الدنيا فأنا على مائدته وبساطه
وعندما أموت فأنا أبقي على مائدته ، فالرزق ليس محصوراً في الدنيا
فبعد الموت أنا أيضاً محتاج إلى الرزق البرزخي والأخروي .
رزق كل عالم يتناسب وذلك العالم ، ورازقك هو خالقك .

لا خوف من المستقبل أيضاً : -

فهو لا يخاف مما سيأتي أيضاً ، لا حزن على الماضي ولا خوف من
المستقبل ، لا أحد من أولياء الله يخاف من المستقبل ، لأنه لا يرى
لنفسه مستقبلاً ، فحياته وموته غداً غير معلومين عنده حتى يهتم بما
سيحدث له .

كم من الأشخاص المساكين الذين يتألمون لستهم القادمة في حين
أن كفهم موجود في السوق ، ليس لهم أسبوع حتى يحزنوا على شهر ،
أما الذي صار من أولياء الله وله نفس مطمئنة فلا يخاف مما سيأتي ،
من جهة أنه لا يرى لنفسه مستقبلاً ، وحقاً ، (يا من بيده ناصيتي)
يا إلهي الذي بيده ناصيتي وحياتي ، أنا عبد كل ما تدبره لي ، فإذا
كان جزءاً من عمري فسوف يأتي مع لوازمه ، فأنا لست وحدي ، بل
لي ولي ومرشد فالذي له ولي قوي ورئيس أكبر فمن أي شيء
يخاف . . فهو لا يحزن على عدم وجود شيء ولا يخاف على مستقبله
وانعدام الوسيلة ، لأنه مستسلم وخاضع تماماً فليس هو المالك ولا
الآخرون .

بكاء النبي على وفاة ابنه إبراهيم : -

لا يحزن مع فقدانه شيئاً . . فلو قال أحد : كيف أن رسول الله والأئمة عليهم السلام كانوا يحزنون إذا فقدوا شيئاً . . فعندما مات إبراهيم ابن رسول الله فقد بكى النبي عليه أو أنه كان يحتضن عزيزه الحسين ويقبله ويبكي . . وجواب هذا الحزن هو أولاً « لا قياس بين عدل الأولياء ونفسك » . فبكاؤنا أنا وأنت من أجل أمور نفسية . . لأن ابني وطفلي قد مات ، فلماذا فارق الحياة ؟ ومن شدة الحزن نغضب اعتراضاً على ذلك لا سمح الله ، كما نرى حالة عدم الصبر من بعض الجهاد لموت بعض أقربائهم والجزع الشديد بحيث لو استطاع أن يصل إلى عزرائيل لقطعه أرباً أرباً .

لماذا أخذت ولدي ؟ هناك نوع من الذاتية والشعور بالاستقلال في الين !

يميت في أي وقت يراه صلاحاً : -

أما الإنسان الذي صار من أولياء الله ففي أي وقت أراد موته فسيقبله بصدر رحب .

ابن جان عاريت كه بحافظ سپرده دوست
روزي رخس بينم وتسليم وي كنم
فهذه الروح التي أودعت عند حافظ كعارية سيأتي اليوم الذي

يقوم بتسليمها إلى من أودعها . .

قول جميل . . . فالروح ليست ملكي فهو الذي أعطى وهو أيضاً يأخذ فكيف الأمر بالأولاد والأقرباء ؟ الله هو الذي يحيي ويميت .

الترحم الروحي غير الأمور النفسية : -

كيف يمكن بيان بكاء النبي على ولده إبراهيم ؟ . . . بالامكان أن تنتزل بهذه الحقائق ونخرجها بصورة ألفاظ إلى حد قابل للفهم لدى الجميع ، وهو أن نقول إنه ترحم إلهي وليس من جهة النفس والهوى والاعتراض والسخط على القضاء والقدر .

الترحم الإلهي مثل الترحم على شهيد عاشوراء (الحسين) (ع) ، المشهد الذي هو محل الترحم ، فكل من يرى الحسين يوم عاشوراء أو يسمع به وكان له قلب فسيحصل في قلبه ترحم أصله من خالق العالم . فهو ترحم وليس نفساً وهوى ولماذا وكيف ؟ على كل حال فهو حزن إلهي وليس حزناً من طريق النفس والهوى .

آخر بكاء للحسين في الوداع الأخير : -

الشيخ الشوشتري يقول في الخصائص الحسينية ، إن الحسين (ع) بكى يوم عاشوراء ست مرات ، بعد ذلك يذكر هذه المرات الست ، وواقعاً إذا تحقق الإنسان من ذلك يرى أن بكاء الحسين في جميع هذه المرات الست كان من باب الترحم ، مكان ظهور

الرحمة . . . فهو يترحم وتجري دموعه .

آخر بكاء له عند وداعه الأخير . عندما وضعت سكينه وجهها على
ظاهر قدم والدها وأخذت تبكي ، مشهد تتمزق له القلوب . . .
الحسين (ع) يجلس ويأخذ ابنته ويجلسها في حضنه ويمسح بيد الرحمة
على رأسها ووجهها :

لا تحرقني قلبي بدمعك حسرة ما دام مني الروح في جثمانني

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية *
فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي ﴾ .

صدق الله العلي العظيم

اللهم اجعل نفسي مطمئنة بقدرتك ، راضية بقضائك ، مولعة
بذكرك ودعائك ، محبة لصفوة أوليائك ، محبوبة في أرضك وسمائك ،
صابرة على نزول بلائك ، شاكرة لفواضل نعمائك . . .

الاتصال بالأرواح العالية :-

تشرح لنا هذه الآية المباركة أمراً وهو أن الغرض من دعوة

الأنبياء وإنزال الكتب السماوية وصول الإنسان إلى مرتبة الاطمئنان والرضا والتسليم التي هي أعلى المراتب التي يمكن للإنسان أن يصلها خلال هذه الأيام المحدودة ، وعندما يصل إلى هذه المرتبة يتصل بالأرواح العالية وعلى رأسها محمد وآل محمد .

ولأجل أن يتضح الموضوع أكثر نتوجه إلى عبارات من زيارة أمين الله لتتوضح النفس المطمئنة أكثر .

زيارة أمين الله ، جامعة ومهمة : -

أول حاجة تطلب « اللهم اجعل نفسي مطمئنة بقدرك » . . .
هذه الزيارة الشريفة لـ «أمين الله» مع أنها مختصرة ولكنها واقعاً زيارة جامعة ومن أفضل الزيارات .

أحد الأشخاص المؤمنين يسأل : كيف تكون زيارة أمين الله افضل من جميع الزيارات مع أنها لا تتجاوز صفحة واحدة لا أكثر .

فقلت له : إنها من حيث الكمية وإن كانت قليلة ، ولكن انظر إلى كيفيتها ، هذه الزيارة الشريفة إذا قصد أحد التوجه بها وكان طالباً لهذه المقامات فإن جميع النعم المعنوية تطلب في ضمن هذه الزيارة .

خلاصة من الزيارات المطولة : -

إذا عرف الإنسان الإمام بصفة « أمين الله » يكفي ذلك أن

يخاطب الإمام عن اعتقادٍ وبقين ويقول : انت القيم على خزائن الله .
كل ما يصل إلى العالمين إنما يصل بواسطتك . . أن يصدق بهذا
المعنى .

« أشهد إنك جاهدت في الله حق جهاده . . . وعملت
بكتابه . . . واتبعت سنن نبيه » .

قصدي هو أهمية هذه الزيارة من ناحية الكيفية ، فلو استطاع
إظهار هذه الحقائق عن حضور القلب فهذه الأسطر القليلة تعادل
عدة صفحات من الزيارة ، وهي خلاصة لتلك المطالب المفصلة .

اطمئنان النفس أول الحاجات : -

(اللهم اجعل نفسي مطمئنة بقدرك) .

يطالب بأعلى درجة . . مقام سلمان وأبي ذر ، حتى يصل مقامه
إلى الاتصال بالنفس الكلية الإلهية ، محمد وآله عليهم السلام .

النفس في هذه الآية . . . هي الحقيقة الإنسانية التي يكون الجسد
وسيلة لإجراء أوامرها ، هي التي تشير إليها « أنا » وتقول أنا ذهبت ،
أنا قلت . . أنا فعلت . . . إشارة إلى الذات والحقيقة .

المطمئنة أيضاً من الاطمئنان بمعنى القرار والسكون والذي هو
ضد الاضطراب والتزلزل . . فالإنسان يبقى مضطرباً حتى يصل إلى
الاطمئنان . . الاضطراب في أي شيء ؟ .

شرح الموضوع :-

الاضطراب في الاعتماد على الأسباب المادية :-

الإنسان الذي لم يعرف الله لحد الآن ولم يصل إلى مقام اليقين ، فقلبه مضطرب في أي مقام كان أو مرتبة . فهو يعتمد في أموره المعاشية على الأمور المادية . .

فهو مثلاً يرى كيف أن بعض الشباب يدرسون ويتعبون حتى يحصلوا على درجات أكثر، ويأخذوا ورقة باسم الدبلوم أو الدكتوراه فعندما يرى أن هذه الورقة هي السبب في استخدامه في الإدارة وحصوله على الأموال فهو مضطرب وقلق دائماً خوفاً من عدم حصوله على الدرجة اللازمة .

أو الكاسب الفلاني نجده قلقاً خوفاً من التضرر بهذه المعاملة . . الجميع قلقون بهذا الشكل ، فاللسان يقول « لا إله إلا الله » ويقرأ القرآن ويقول بأن الأمور بيد الله ولكن قلبه لم يصدق بذلك بعد .

والسبب في ذلك أنه لحد الآن يرى للأسباب المادية استقلالاً . . يقول إن الخالق هو الله . . . المدير والمدير هو الله . . ولكن حاله حال الكفر ، يعني أن يعتقد بأنه يحمل ثقل المعيشة على كتفه . يتخيل أنه فقد هذه الأسباب يمكن إدارة الأمور وتديرها .

يرى لنفسه وللآخرين استقلالاً ذاتياً، لذلك نراه قلقاً عندما يرى

مستقلاً لوحده بدون حماية أو استناد ، لأن الأسباب لا تتفق مع مزاجه دائماً ، فكم من الأحياء يبطل الشخص بفراق هذه الأسباب أو الخوف من فقدانها فينهار ويتحطم نهائياً .

الاعتماد على المال والأولاد . . كفر حقيقي :-

فمثلاً كان لديه أموال ويتصور أنها هي التي تسير حياته ، وقد فقدوها الآن ، فكأن الدنيا قد وصلت إلى نهايتها ، يحتويه الهم والغم ، ولو رأى أحد صورته المملوكة لرأى الكفر الحقيقي وكأنما ليس له إيمان بالغيب . فالآن وقد فقد سبباً من الأسباب فكأنما فقد كل شيء .

كان لديه أولاد ، وكان يأمل أن يكبر ولده ويعينه في كبره ، فعندما يموت سوف يفقد هدوءه ونرى عليه الفزع والجزع بهذا الشكل .

انتحار بسبب القلق :-

قد يصل انهيأه من أجل فقدان السبب في بعض الأحيان بحيث لا يرى لنفسه أي أمل ، وينتحر . . .

الشباب الفلاني ينتحر لأنه لم يقبل في امتحان البكالوريا ، لأنه يرى أن حياته معلقة في رقبته ، فكانت عينه على هذا السبب فقط ولم يصل إليه الآن لذلك يقطع أمله بالحياة وينتحر .

وهذا هو الكفر الحقيقي^(١) فهو قلق ومضطرب لأنه يفتقد الاطمئنان بالله .

طلب الاطمئنان عند قبر ولي الله :-

على كل حال فالإنسان ما دام لم يصل إلى حد الاطمئنان فهو في قلق في أية مرحلة كان .

أكبر نعم الله الإيمان الكامل « اللهم اجعل نفسي مطمئنة بقدرك »
إلهي أنا جئت عند قبر وليك أطلب منك أن تمن علي بنعمة اطمئنان
النفس . . . يا أمين الله ، يا من بيده خزائن الله ، أنت كن وسيلتي إلى
ذلك .

ما لم يصل إلى الاطمئنان فهو في كفر واقعي ، إيمانه بالأسباب
وليس بمسبب الأسباب ، الشخص الذي يصل إلى حد الاطمئنان
بخالقه يصير بحيث إذا فقد جميع الأسباب الظاهرية فسوف لا يفقد
هدوءه لأنه لا يرى نفسه لوحده وإنما له مولى .

(١) ﴿ قد يشسوا من الآخرة كما يشس الكفار من أصحاب القبور ﴾ سورة الممتحنة ،
الآية ١٣ .

خزائن مولاي مليئة : -

ولأجل توضيح المطلب نضرب لذلك مثلاً : -

قول مالك الدينار أو شخص آخر بأن علة انتباهي هو حادثة وقعت في زمان ، أصاب مدينتنا القحط وكان جميع الناس في قلق شديد وحالة مؤلمة (نستجير بالله من القحط ، فأنتم تتذكرون أيام القحط قبل سنوات وفي أيام الحرب العالمية وما كان عليه حالنا) .

يقول : إنه في تلك الحالة والناس جميعاً في قلق وخوف رأيت غلاماً ضاحكاً مستبشراً وهو غارق في عمله .

فقلت له : كيف أراك ضاحكاً وكأنك لا تعلم بأن الجميع في وضعية يرثى لها ؟؟

فقال : إن خزائن مولاي مليئة بالطحين فأنا لست حزيناً ، فخزينة سيدي مليئة !!

فوراً تنبّهت إلى أن حالة هذا الغلام مع مولاه الظاهري بهذه الصورة ، فقلبه قوي بخزينة مولاه وهو غير مضطرب أو قلق ، فبإليتني كنت كذلك مع مولاي الحقيقي يوماً واحداً وأقول إن عندي إلهاً ، فأنا أمتلك كل شيء فخزينة ربي مملوءة دائماً .

فلو ضاعت الأموال فسأقول بأن لي رباً ، فإلهي قوة لقلبي ،

وليس قدرتي هي القوة

الأولاد لهم رب أيضاً : -

بعض الأحيان يقول ماذا أصنع وعندى عشرة أفواه تطلب الطعام .. أعتقد أن مسؤولية المعاش ملقاة على عاتقك ؟ ... الطفل مال الله ، وأنت أيضاً مال الله « وكل من أعطى الأسنان فهو يعطي الخبز » .

فهو حزين لأنه يفكر ، كيف سيكون حال أولادي من بعدي ؟
هو أيضاً له رب ويبيده أمره ، فلا حاجة لأن يعتصرك الألم من أجله ، كل هذه المخاوف والآمال المادية واضطراب القلوب كفر وانقطاع عن الله .

المربي لنا جميعا هو الله فقط : -

كم يؤكد ويثبت القرآن المجيد مسألة التوحيد الأفعالي ، لعلنا نصل إلى درجة من الإيمان ، وكم يشرح لنا هذه الحقيقة بأن الأمور كلها بيد الله ولا شيء منها بيد الغير .

أنت وأنا والآخرون كذلك كلنا لم نكن أكثر من قطرة ماء عفنة والله هو الذي أوصلنا إلى هذه المرتبة ، كنت في المهدي سابقاً ولم تصل إلى حد التمييز فمن الذي سخر لك الأب والأم يقومان بخدمتك ، في

ذلك الوقت لم يكن باستطاعتك الوقوف على قدميك ولم تكن مستقلاً ، فكيف أصبحت اليوم مستقلاً ؟

فالرزق بيد الله وليس بيدك ، ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾ (١) .

استمرار حياتك أيضاً معلق على إرادته وما دمت حياً فسيوصل إليك رزقك .

نعم . . من أجل الحكم والمصالح فقد أمر بالسعي لتحصيل الرزق والتكسب ، عليكم أن ترعوا وتزرعوا ، وإلا فالمطر ليس بأيديكم ، واستمرار حياتك مرتبط بالذي أعطاك أصل الحياة ، فلذلك لا ينبغي أن تقلق على قلة أو زيادة الأسباب .

إذا بقيت إلى الغد فسيصلي رزقه :-

سمعتم بالصحابي أبي ذر فقد أرسل إليه معاوية بمئتي دينار عسى أن يرجع عن علي (ع) فأشار أبوذر إلى جراب وقال :

ما دام هذا الجراب موجوداً فلني غير محتاج .

فلما نظروا إليه رأوا فيه قرصين من الخبز . فقال :

أحدهما يكفيني للإفطار والآخر للسحور ، فإذا كان الغد من

(١) سورة هود : الآية ٦ .

عمري فالله سوف يوصل إلي برزقه ، فالיום القادم مشكوك أنه من
العمر فلماذا أحمل هم ؟

فالذي رعاني ودبر أموري لحد الآن ، سيرعاني في بقية عمري .
يجب أن تكون على يقين بأنك غير محتاج إلى أي أحد وأي شيء
سوى الله . فكل ما سوى الله مخلوق ، فحتى أصحاب المقامات العالية
محتاجون إلى الله وإلى ما تكون عليه إرادة الله . هذا فيما إذا كانوا هم
السبب في نجاتك بواسطة كان ذلك أو بدون واسطة .

مؤمن أصابه البلاء في قعر بئر : -

هل سمعتم بقصة ذلك الرجل الإلهي أم لا ؟

بينما كان يسير في ليلة مظلمة وسط الصحراء إذ وقع في بئر ،
وبقي متورطاً في قعر البئر . . فجأة يمر بعض المارة فيضع صخرة
كبيرة على فوهة البئر لكيلا يسقط أحد فيه ويسد فتحة ذلك البئر .

ولكن هذا الشخص كان أمله بالله وهو في قعر البئر ، وكان على
يقين من أنه لو كان لعمره بقية ولم ينته أجله فسوف ينقذه الله .

فجأة رأى أن بعض الأتربة تسقط على رأسه ، فنظر فرأى ما يشبه
ذيل الحيوان وقد تدلى إلى الأسفل فتمسك به وصعد إلى الأعلى .

يجب أن ينقذك الله بأي وسيلة أراد أن ينقذك بها من البئر . ولو
لم يرد ذلك فلا يمكن ذلك بأية وسيلة كانت .

الخوف والحزن بعيد عن أولياء الله : -

الله هو مدبر الأمور . . . وبيده تدبير جميع الأمور ، وبالنسبة إلى أي شخص كذلك ، فجميع ذرات عالم الوجود مدبرها هو الله .

غرضي أن يتضح بأنه ما دام الإنسان خائفاً وحزيناً على فقد الأسباب فهو ليس من أولياء الله ، لأن أولياء الله لا يخافون ضياع أحد الأسباب المادية ولا يصيبهم حزن على ما هو آت .

« راضية بقضائك » فلو رأى ربي الصلاح في أن أصاب بهذا البلاء فذلك خير لي ، ولو لم يكن صلاحاً فسوف لا يقع ذلك ، فلذلك فهو غير قلق لا من الماضي ولا من المستقبل .

الشيء الذي يتخوف الناس العاديون منه إذا أراد الله أن يقع فحتماً سيكون خيراً لي فلماذا أتألم ؟ وإذا لم يرد الله فسوف لا يقع إطلاقاً .

الحسين (ع) وزينب (ع) نماذج الأطمئنان الكامل : -

الحسين (ع) يعلم منذ أن تحرك من مكة بأن المشاق والصعوبات في انتظاره ولكن بما أن الله فيها رضا وصلاح ، وارتقاء درجة الحسين (ع) متوقفة على تحمله هذه المشقات ، فقد قبلها الحسين (ع) .
الحسين (ع) له نفس مطمئنة ، له استسلام لإرادة الله . . وراضي

بقضاء الله . وما أكثر ما حفظت زينب (ع) هدوءها وثباتها في هذا السفر أيضاً .

بل إنها كانت تهدى العيال والأطفال أيضاً . .

ما هذا الذي يفعله الأيمان والنفس المطمئنة ؟

يروون حالات زينب (ع) أنها عندما كانت في مجلس ابن زياد ويزيد وسوق الكوفة كان حالها بشكل كأن لم يصيبها ما أصابها .

الشيعة راسخون كالجبال :-

نعم . . فالمؤمن كالجبل في الثبات ولا تحركه رياح الحوادث . . .
إلهي أيمكن أن نستفيد نحن أيضاً من النفس المطمئنة . . أن نحصل
على مرتبة من الرضا والتسليم ويكون لنا شبه بشيعة أهل البيت
(ع) .

أنا أتصور أن بيننا وبينهم فاصلة كبيرة ، وعند الامتحان يكون
معلوماً مقدار تعلقنا بالأسباب المادية والاتكال على ما سوى الله .

يجب أن يمتحن أولياء الله بفقدان الأسباب . . . يمتحن إبراهيم
(ع) ليصل إلى مقام الخليل . . أنت تريد أن تصل إلى منزلة سلمان
وحبيب بن مظاهر . فهل حصل لك الاطمئنان ببرك ، أو أنك قلق
وتتصور نفسك مستقلاً ، وقد جعلت لك أسياداً ؟ تتساءل باستمرار
لماذا كان كذلك وكيف ومتى ؟ لأنك لا ترى نفسك عبداً ، وتعين

المصلحة بنفسك، وعندما يقع خلاف ما تتوقع وتريد فسوف .
تعترض ...

التسليم لما أراد الله .. رضا :-

لماذا قالوا في معنى الرضا إنه ترك الاعتراض .. أن يكون حاله
بشكل لا يحس بأي اعتراض على ما سيحدث له ، راضٍ بكل ما
أراد الله ، ففيه صلاحٍ وخيري ..

عندما نقرأ زيارة أمين الله يجب أن نطلب من كل واحد من الأئمة
(ع) أن يتوسط لكي يوصلنا إلى مرتبة النفس المطمئنة والرضا بقضاء
الله « اللهم أجعل نفسي مطمئنة بقدرك راضية بقضائك » .

عندما تتوسلون بأهل البيت أيضاً اطلبوا هذه النعم الباقية ،
وعندما تريد أن تموت ينبغي أن لا يختلف وضعك عن حالك الطبيعي
أبداً ، فلا تحزن على ذهابك من هنا ، فإزقك في الدنيا هو الله وفي
البرزخ الله كذلك ، ويوم القيامة أيضاً كذلك .

ويقراون على جثماننا أنه « إلهي عبدك وابن عبدك قد نزل بك »
فلو كان حالك عند الموت كذلك فإن أثره سيكون كبيراً حتماً وتصدق
حقاً بأنك قد وردت على بساط اللطف الإلهي ..

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية
فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾ .

صدق الله العلي العظيم

تحرك وفق إرادة الله واترك ميولك : -

إن الاستفادة من الأدلة العقلية وآيات القرآن هو أن الله سبحانه
يتعالى خلق البشر للعبودية ، والبشر مستعد أيضاً للعبودية بفطرته ،
نأله قد جعله على رأس طريقين ، فإمكانه أن يكون عبداً للأهواء
والشهوات، ويمكنه أن يكون عبداً لخالقه أيضاً .

الحيوانات مجبورة على إطاعة الهوى والشهوة ، لكن البشر خلق
مختاراً، وهذا هو امتياز الإنسان عن الحيوان . فالحيوان لا عمل له
سوى اتباع الشهوات وميوله النفسية ، أما الإنسان الذي يمكن أن
يصرف نظره عن ميوله ويتحرك بإرادة مولاه، كما يمكنه أن يكون عبداً

لللهوى كذلك يمكنه أن يكون عبداً لله .

بعض الناس يسلكون الطريق الأول طريق اتباع الميول النفسية والأهواء، والبعض الآخر نجده يتخذ الطريق الثاني وهو إطاعة الله .

أكثر الناس أصحاب نفوس أمارة :-

في كل دورة من الزمان نجد أن أكثر الناس من أتباع الهوى ، جعلوا سلاسل عبودية الشيطان في أعناقهم ، ولا هدف لهم سوى الملذات والشهوات .

هؤلاء يقال عنهم إنهم أصحاب نفوس أمارة ، والأمارة مبالغة في كونه أميراً ..

فالأمير الموجود في باطنه هو هوى النفس ... فبمجرد أن تقع عينه على امرأة أجنبية يميل إليها ويتبعها .. بمجرد أن يعلم بوجود أموال يتجه نحوها ولا يلتفت أبداً بإنها حرام أو حلال ، وحتى عندما يقال له بأنها حرام نجده يسخر من ذلك، فهذه هي النفس الطاغية المعاندة .

عبادة وشهوات في نفس الوقت :-

ولا يختص ذلك بالكفار ... كثير من المسلمين أصحاب نفوس سارة وحتى عندما يؤدي العبادة فذلك بأمر النفس كأن يكون رياءً

مثلاً ، يعبد من أجل الشهرة والظهور أو ميول نفسية أخرى .

يطلق عنوان العبادة على المعاملة والسياحة أو التجارة ويجعلها بإسم الحج . . . العبادة التي تؤذيها النفس الأمانة تابعة من حكومة النفس ، ولو صدر منه عمل صالح نراه يكبر ويعظم هذا العمل . فهو في الحقيقة لم يعمل سوى الشر لأنه أطاع النفس والهوى بهذه العبادة .

خير شر فكيف بشره : -

ما دامت نفسك أمانة ، فخيرك قبيح وشر ، فالويل من شرك . . فلو قمت بأحسن الأعمال بدافع من شهواتك النفسية فهي شر ويكون هو الطاغية الذي يكون مكانه في جهنم ، فليس لديه سوى حكومة النفس وكبريائها .

لكن علي أن أبين المرتبة الثانية حتى تتضح المرتبة الأولى أكثر .

النفس اللوامة تنفر من الذنب : -

المرتبة الثانية يقال لها النفس اللوامة ، وقد أقسم القرآن المجيد بها ، فالإنسان في حكومة هذه النفس يكون بحيث إذا صدر منه إطاعة للنفس والهوى نجده يتألم . . . النفس الأمانة تتركب الذنب ولا تهتم لذلك ولا تمتنع عنه ، ولكن عندما يريد الإنسان أن يسير في

طريق الله فسوف ينفر ويتألم عندما يصدر منه إطاعة للهوى في البداية : لماذا تركت هذا الواجب ؟ فيلوم نفسه لذلك .

ويعلم بأن الإيمان موجود : -

حاصل الرواية الشريفة في بيان الفرق بين المؤمن والكافر هو أن الكافر إذا صدر منه ذنب فكأنما استقرت على أنفه بعوضة ثم طارت ولا يهيمه إن أكل مال الناس ، وكأنه لم يفعل شيئاً .

أما المؤمن فإذا صدر منه ذنب فمثلته مثل الذي كان إلى جانب الجبل وقد سقطت عليه من ذلك الجبل صخرة عظيمة ، فكم يكون حاله وخيباً وشاقاً ؟ فالمؤمن كذلك . . . إذا صدر منه ذنب فسيبقى يئن إلى الليل : أنا الذي وجهت إلى أُمِّي كلاماً فظاً . . . فلأنه مؤمن فقد أصبح صاحب نفس لوامة وأخذ يلوم نفسه بنفسه .

النفس المطمئنة لا يصدر عنها ذنب : -

يروى عن الإمام الباقر (ع) في باب علامة الإيمان :

« من ساءته سيئته وسرته حسنته فهو مؤمن » .

إن الإمام (ع) لا يقول إن علامة المؤمن أن لا يرتكب ذنباً أبداً . بل إنه إذا صدر منه ذنب فسوف يتألم لذلك وأنه كيف صدرت منه هذه المعصية ؟؟ إلى أن يصل إلى النفس المطمئنة بحيث لا يصدر منه ذنب بعدها . ولكن النفس الأمارة تطغى وتتكبر .

نهاية كل نفس أماراة هي النار ، فالقرآن المجيد يؤكد على أن جهنم هي المأوى لكل طاغية والذي لا يهمنه أن يخالف أمر الله . فإذا أصابته نعمة قال إنها بفضل ذكائي وحيلتي وعملي ، أما لو كان العكس بأن سلبت منه النعمة فسوف يطغى ويعترض ويكون في حالة نزاع مع عالم الوجود .

النفس اللوامة خاضعة وصابرة : -

وبعكس ذلك إذا أصبحت لوامة فسيكون خضوعه وخشوعه أكثر ، فيرى أن مولاه قد رحمه ومنّ عليه بدون أن يكون مستحقاً لذلك .

والذي أصبحت نفسه لوامة يكون أقدر على تحمل الشدائد ، ويندر أن يعترض على القضاء والقدر الإلهي . وطبيعي أن هذا الموضوع لا يحصل من الدراسة ، فقد نجد أن إنساناً أُمياً من عوام الناس أنعم الله عليه بذلك في حين أن هناك شخصاً متعلماً وعالمًا فاقدًا لها .

وقد خطر على بالي قصة مذكورة في كتاب المستطرف .

المرأة البدوية والصبر عند موت الولد : -

ينقل عن بعض حجاج بيت الله الحرام الذين كانوا يسافرون في

السابق عن طريق تلك الصحاري الحارة بواسطة الإبل بأننا وصلنا إلى خيمة في أثناء الطريق وكان في تلك الخيمة امرأة وحيدة ، فطلبنا منها طعاماً ، فقالت :

تفضلوا بالجلوس فبعد ساعة يرجع ابني مع الخادم وقد ذهب لرعي الأغنام ، وبينما كان الحجاج في الخيمة إذ لاحت لهم مقطعات الأبل والأغنام ولكن الراعي كان متغيراً وحزيناً ، فتقدمت إليه المرأة وسألته عما حدث ؟ فقال :

عندما كانت الإبل تندافع نحو الماء للشرب تزاхت فيما بينها وسقط ولدك في البئر (الأبار المذكورة كانت عميقة جداً وإذا سقط فيها أحد فلا أمل في خروجه حياً) .

أجابت المرأة : احذر أن يصدر منك صوت لأن عندنا ضيوفاً فتسلب راحتهم . اذهب فوراً وأذبح خروفاً وهيئه للضيوف . فلما علموا بذلك قال لها أحد الحجاج بأننا آسفون لهذا الحادث ، وقد صرنا مزاحمين في هذا الوقت .

فأجابت المرأة بأني لم أكن راغبة أن تطلعوا على ذلك فتنالوا، ولكن الآن وقد فهمتم ذلك فأعلموا أن واجبي الآن هو الصبر ، فمن منكم يمكنه أن يقرأ القرآن؟ فأخذ أحد الحجاج يقرأ آيات من القرآن التي يذكر فيها بأن الله يبشر الصابرين على المصيبة بأن يجازيهم بالصلاة والرحمة والهداية^(١) .

(١) ﴿ ولنبليكنم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس

فقالت المرأة : كفى (يكفيننا هذا المقدار إننا نُمثّل أوامر الصبر ونحصل على هذا الجزاء) وقامت وتوضأت وصلت ركعتين ، وبعد الصلاة رفعت يديها بالدعاء وقالت : إلهي إذا كان البقاء مكتوباً لأحد في هذه الدنيا لكان نبيك حياً . . . إلهي أمرتنا في القرآن بالصبر ، وأنا امرأة ضعيفة وسأصبر . . . إلهي فلا تحرمنا ما وعدتنا به من الجزاء .

قالت ذلك وقامت بخدمة الضيوف وكأن شيئاً لم يقع .

عدم تحمل النفس الأمانة : -

إذا كانت النفس أمانة فإنها سوف تطغى مقابل القضاء والقدر ، تجزع وتفزع في مقابل أقل مصيبة وكأنها صاحبة حق على الله وقد أخذ منها حقها المسلّم .

أريد أن أوضح معنى النفس الأمانة حتى لا نتصور بعد سنين طويلة من العمر أننا بلغنا عمق الإيمان ، لكن الواقع هو أننا غارقون في النفس الأمانة ، بحيث نعتقد بأن تشخيص الصالح لنا هو من صلاحياتنا .

والثمرات وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴿١٥٧﴾ .

البقرة : ١٥٥ - ١٥٧

النفس اللوامة لا عناد لها، فلو صدر منها ذنب فسوف تلوم نفسها ، وتتألم من نفسها .

العبودية على أي حال من أثر النفس المطمئنة : -

الدرجة الثالثة والنادرة هي الوصول إلى كمال الاطمئنان ، والجلوس دائماً على عتبة البيت الإلهي لا غيره .

وليس المقصود أن يكون ٢٤ ساعة في المسجد بل أن لا يصدر منه طغيان أبداً ، وليس له ذهاب ورجوع . . يعني تارة للنفس وأخرى لله . . بل هو عبد في كل الأحوال ، فإذا أصابته نعمة فهو عبد ولو خرجت من يده فهو عبد أيضاً، فلو أن جميع وسائل الدنيا والراحة اجتمعت لديه فهو أيضاً عبد ، وإذا وقع ما يخالف ميله فكذلك هو عبد لا يطغى .

فهكذا إنسان يصبح من السابقين وليس من أصحاب الشمال أصحاب النفوس الأمانة ، ولا حتى من أصحاب اليمين أصحاب النفوس اللوامة ﴿لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض﴾ .

لا يتفرعن على الأدنى منه : -

هو عبد في كل حال . . . عندما يأتي إلى زوجته وأطفاله فليس له

منة عليهم إطلاقاً ، فهو الذي لا يرى نفسه الرازق لهم بل يعمل بما أمره الله من الإنفاق على الأهل والعيال .

فهو لا يطنى في حال السرور والفرح كما أنه لا اعتراض لديه على القضاء والقدر الإلهي عند الشدة والمحنة . فعبوديته متساوية .

عندما يؤدي الواجب تجده حاضراً في أول وقت الصلاة ، إنه يهرب من الحرام والنواهي الإلهية . في القضاء التكويني هو عبد أيضاً سواء كان في ضراء أو سراء ، في نعيم أو شقاء .

النجاشي يظهر خضوعه : -

عندما كان الصحابي جعفر الطيار مع جماعة من المسلمين وقد هاجر إلى هناك ليكونوا في مأمن من أذى المشركين . وفي يوم من الأيام دخلوا على النجاشي إمبراطور الحبشة فرأوا أن الإمبراطور قد لبس ثياباً بالية وهو جالس على التراب .

جلس جعفر والمسلمون عنده ، وبعد السلام والتحية سألوه عن هذا الوضع العجيب الذي نراه منك ، فقد تركت تحت السلطان وجلست على التراب فهل حدث حادث .

أجاب الإمبراطور : لقد وصلنا من المسيح (ع) أنه في كل وقت يرزقكم الله نعمة جديدة فتواضعوا من جديد ، واليوم رزقنا الله نعمة

جديدة وهي البشارة بانتصار محمد (ص) على المشركين وأردت أن أكون خاضعاً لله شكراً على هذه النعمة .

لا يرى لنفسه حقاً على الله :-

احذر أن تطغى في حالة الرخاء والرفاه ، أو ترى نفسك مستحقاً لذلك ، كما أن بعض الجهال يقولون: بما أن نيتي كانت خيرة وباطني مقبولاً فلذلك صنع الله كذا وكذا . . . لأن أعمالي صحيحة فلذلك يجب أن يعطيني ربي . وفي حالة العسر والشدة التي هي قضاء إلهي أيضاً فسوف يزداد الخضوع والانكسار . . . وعلى كل حال فهو عبد .

سرور القلب وجنة الروح :-

إذا اطمأن الإنسان إلى العبودية سواء في القضاء التكليفي أو القضاء التكويني . . إذا كان ملازماً لصراط العبودية ٢٤ ساعة ، ولا يتغير حاله في حالة اليسر أو في حالة العسر ، فستكون النفس مطمئنة وراضية بالله بحيث أنها تعيش في جنة روحية واقعاً . . . قلبه سعيد حتى في حالة المصيبة بمشيئة الله ، لأنه لا توجد حكومة للنفس بعد الآن ، وليس لديه تساؤل واستفهام وقد سقطت حكومة النفس الأمارة . والخاصية الأولى لذلك هي زوال حالة الاستنكار والاستفهام لماذا هذا الحر؟ . . لماذا سقط المطر أو لم يسقط ؟ فكل المصائب من أنانية هذه النفس ومقتضياتها ؟ لذلك فأول سعادة النفس مطمئنة هو

الرضا بحيث ليس لديها أي اعتراض على إرادة الله ، فهي راضية .

ملك الموت يقرأ هذه الآية : -

فعندما تكون راضية فستكون مرضية ومقبولة عند الله سبحانه وتعالى . وبحسب الروايات فهذه الآية الشريفة تطرق سمع صاحب النفس المطمئنة . وهناك رواية عن الإمام الصادق عليه السلام يقول فيها: إنه عندما يأتي ملك الموت لقبض روح المؤمن (المؤمن الذي وصل إلى النفس المطمئنة ، المؤمن الذي وصل إلى مقام الرضا) فلأنه أمر غريب فتصيب هذا المؤمن حالة الوحشة ، فيقول له عزرائيل :

أنا أرحم عليك من أهلك ، فلا تستوحش وافتح عينك وانظر إلى الأعلى (ليست العين الظاهرية بل العين الملكوتية والبرزخية ، وبتعبير آخر تلك العين التي ترى وتنظر بها في المنام ، فتلك العين ليست مادية وعندما ترى حلماً تقول رأيت) .

عندما ينظر المؤمن ما فوقه يرى الأنوار الطيبة والطاهرة لأهل البيت عليهم السلام ، وعندما يرى ذلك يأتيه النداء من الغيب ويسمع قبل أن تخرج روحه ﴿ يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية ﴾ .

أمانة المؤمن وهو مسرور : -

في ابتداء تلك الرواية، السائل يسأل الإمام الصادق (ع) : هل أن

المؤمن يموت وهو كاره ؟

فيجيبه الإمام : كلا بل يموت وهو مسرور ، بعد ذلك يوضح له الإمام كيفية قبض روح المؤمن كما ذكرنا قبل قليل .

وطبعاً إن الكنز لا يتيسر إلا بالتعب ، فيجب السعي للوصول إلى درجة عباد الله حتى يمكن الحصول على هذه النعم ، العين التي في الجنة في الأصل للخمسة من أهل البيت الممزوجة بما عند الأبرار والصالحين ، فعباد الله الذين ذكروا في سورة الدهر^(١) هم مطلق أهل البيت وشيعتهم الأبرار .

استمرار اللوامة يوصل إلى الاطمئنان : -

تعالوا لنسعى الآن إلى الخروج من الأمارية ، فلو أننا لا نتمكن من الوصول إلى النفس المطمئنة ، أو لم نصل فلا أقل تكون نفوسنا لوامة ، فقم في وقت السحر واطلب العفو ولا تنس أن تكون خجلاً من الله .

لو استمر عمل النفس اللوامة فستكون عاقبتها الصلاح وتصل إلى النفس المطمئنة التي تكمن فيها سعادة الدنيا والآخرة .

سعادة الدنيا والآخرة لأولئك الذين وصلوا إلى مقام الرضا .

(١) ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ سورة الدهر .

بين الخوف والرجاء من قبول التوبة : -

ثم إن المؤمن يجب أن يكون بين الخوف والرجاء دائماً . . أنت تائب ولكن لا تكتف بذلك ، يجب أن تكون خجولاً من ذلك الذنب طيلة العمر ، ارفع رأسك وقل يا الله ، لا أن تعتمد مائة بالمائة على هذه التوبة ويكون ذلك موجباً لغرورك .

تعالوا نتوب توبة حقيقية : -

أستغفر الله الذي لا إله إلا هو - تعالوا نتب من سوابقنا توبة صحيحة ، لا تقل ألم أكن قد تبت ليلة أمس . . . متى صدرت منك التوبة التي تمحو الذنوب ؟ التوبة التي تطهرك من الدرن .

لذلك يقول زين العابدين (ع) : « إلهي وفقني إلى توبة تطهرني (ترجع لي محبتك) فأكون حبيبك » .

« أستغفرك من كبائر ذنوبي وصغارها وحوادث زلاتي وسوابقها ، أستغفرك من كل ما خالف إرادتك أو زال عن محبتك من الحظاظ عيني وخطرات قلبي وحكايات لساني وحركات جوارحي » .
الصحيحة السجادية . . دعاء التوبة

اذكروا بعض أخطائكم وحركوا النفس اللوامة ولوموا أنفسكم
فأية نعمة شكرتم ؟

نحن لا نجد من أنفسنا سوى الكفران !!

* * *

الفهرس

٥	المقدمة
١٣	الحسين (ع) المصداق الكامل للنفس المطمئنة
٣٠	الجسم وعاء الروح
٤٨	العين الحيوانية ترى الجسم فقط
٦٨	النفس المطمئنة مرضية عند الله
٨٦	الرضا من آثار اطمئنان النفس
١٠٠	الاتصال بالارواح العالية
١١٥	تحرك وفق ارادة الله واترك ميولك

منشوراتنا

- ميزان الحكمة ١٠/١ - محمدي الري شهري
- زبدة الكافي ٣/١ - تحقيق الشيخ محمد باقر البهروزي
- تهذيب الأصول ٢/١ - السيد عبد الأعلى السيزواري
- تحرير الوسيلة ٢/١ - سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني
- الاسلام ومنطق القوة - السيد محمد حسين فضل الله
- الزواج في الإسلام وانحراف المسلمين عنه - مجيد الصيمري
- الأئمة الاثنا عشر - دراسة تحليلية - عادل الأديب
- المشكلة الاجتماعية المعاصرة - الشهيد السيد نوري طعمة
- الدفاع الشرعي في الشريعة الاسلامية - الدكتور داود العطار
- نفقات الزوجة في التشريع الاسلامي - الشهيد الشيخ عارف البصري
- عبقات الأنوار في الأئمة الأطهار - حامد حسين الكهنوي
- دراسات في نهج البلاغة - الشيخ محمد مهدي شمس الدين
- التبرك: تبرك الصحابة والتابعين بأثار النبي علي الاحدي
- عاشورا- ١٤٠٢ هـ - الشيخ محمد مهدي شمس الدين
- النص والاجتهاد - السيد عبد الحسين شرف الدين - تحقيق وتعليق أبو مجتبى
- ملائكة الغيب قادمون - الشيخ علي كوراني
- المراجعات - الإمام عبد الحسين شرف الدين - تحقيق وتعليق أبو مجتبى
- انصار الحسين - الشيخ محمد مهدي شمس الدين
- المعدل الإلهي - الشهيد الشيخ مرتضى مطهري
- التوازن في الإسلام - محمد علي التسخيري
- دروس من الثورة الإسلامية في إيران - محمد مهدي الاصفى

- علي والفلسفة الإلهية - السيد محمد حسين الطباطبائي
- الجهاد الأكبر - سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني
- مسألة الحجاب - للشهيد مرتضى المطهري
- الذنوب الكبيرة ٢/١، للشهيد عبد الحسين دستغيب
- مناسك الحج وهل هي وثنية - حسن شحادة
- التقويم بين تراث وثورة - نور باقر تقوي
- الحسين مدرسة الأجيال - عبد العظيم المهدي البحزاني
- الدفاع عن المواقع الأيديولوجية الإسلامية ٣/٢/١
- مبادئ التربية الإسلامية - عبد الزهراء عثمان محمد
- نظرية السياسة والحكم في الإسلام - السيد محمد حسين طباطبائي
- المسلم صلاة وثورة - الشيخ زهير كنج
- الاسراء والمعراج - بنظرة عصرية - دراسة وتحليل - علي عسيلي
- المرأة مع النبي في حياته وشريعته - الشهيدة بنت الهدى
- النبي الأمي - الشهيد الشيخ مرتضى مطهري
- دعبل الخزاعي - حسين موسى
- الإيمان حقيقة وهدف ! بسام مرتضى
- مناسك الحج - سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني
- بحث علمي تحقيقي حول أولي الأمر والولاية - السيد أحمد الفهري
- الاعلام اليهودي - الشيخ عبد الله حلاق
- الجهاد والتغير - الشيخ عبد الله حلاق
- السلام بعد تحرير القدس - الشيخ محمد طحني
- شهر الله - الشهيد السيد عبد الحسين دستغيب
- الصلاة - سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني
- الحكومة الإسلامية - سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني

- القادة الأبرار ١٤/١ مع علبة

- رواد الفداء ١٠/١ مع علبة

- البقرات الثلاث - قصة

- المعصافير الصغيرة والفيل - قصة

- الديك والقطط - قصة

- مشاهد النور - للأطفال - عبد الحليم خضرا

- شمعته السحر (صلاة الليل) سماحة آية الله

السيد أحمد الفهري

- الرياء والعجب - سماحة آية الله السيد

أحمد الفهري

- زبدة الأحكام - سماحة آية الله العظمى

الإمام الخميني

- خلاصة الاعتقاد - محسن عطوي

- أساس الحكومة الإسلامية - كاظم الحائري

- الحياة السياسية للإمام الجواد (ع) - السيد

جعفر مرتضى

- دليل الداعي في أيام الأسبوع وشهر

رمضان المبارك

كتب وصلت حديثاً

- معجم مقاييس اللغة ٦/١ تحقيق عبد

السلام محمد هارون

- كتاب البيع ٥/١ - سماحة آية الله العظمى

الإمام الخميني

- طبقات إعلام الشيعة ٤/١ - آغا نورك الطهراني

- رسائل أخوان الصفا ٤/١ أحوان الصفا

- المكاسب المحرمة ٢/١ سماحة آية الله

العظمى الإمام الخميني

- الانصاف في فقه اللغة ٢/١ - حسين موسى

- عبد الفتاح الصعيدي

- مفتاح كنوز الستة - ترجمة محمد فؤاد عبد الباق

- رجال الخاقاني - الفقيه الشيخ علي الخاقاني

- جواهر البلاغة - السيد المرحوم أحمد الماسمي

- تعليقة شيقة على شرح منظومة السبزواري

- كتاب الصلاة - الشيخ عبد الكريم الحائري

(غلاف)

- مكاتيب الرسول - علي الاحمدي

- أساس البلاغة - الإمام الزغشري

- كتاب الزكاة - آية الله العظمى الشيخ

حسين علي منتظري

- بداية الحكمة - العلامة السيد محمد حسين

طباطبائي

- دراسات في علم النفس الإسلامي -

الدكتور عبد الرزوف عبد الغفور

- دروس من القرآن - محسن قزائي (مجلد)

- فلاح السائل - السيد رضي الدين بن طابوس

- المهدون للمهدي - الشيخ علي كوراني

- حقوق المرأة في النظام الإسلامي - الشهيد

الشيخ مرتضى مطهري

- البدر الزاهر في صلاة الجمعة والمسافر -

سماحة آية الله العظمى الشيخ منتظري

- التعليقات لابن سينا - تحقيق الدكتور عبد

الرحمن البدوي

- علم الأصول - علي الفاضل القائني

- مبادئ الوصول إلى علم الوصول -

العلامة الخلي

- معجم مؤلفي الشيعة - الفاضل القائني الجمعي

- قدوة الفقهاء - سيرة حياة آية الله العظمى

المنتظري

كتب تحت الطبع تصدر قريباً

١ - دروس في التفسير - لسماحة السيد الفهري .

٢ - التوبة والعفو الإلهي - للسيد طاهر أبو رغيف

٣ - قصص أطفال - مجموعتان - مع علبة

٤ - نهاية الأصول - مجلد - تفريرات آية الله

المنتظري عن السيد البروجردي

٥ - قصص الأنبياء للناشئة والفتيان - مع علبة

٦ - المرأة في التصور الإسلامي - الشيخ

محسن عطوي (طبعة جديدة منقحة

ومزينة).

٧ - الدليل على موضوعات نهج البلاغة

هزار الكتاب

فلق النفس واضطراب
الجنان مما يحق افتنا هذا
المصر ، وكل عصر تحرمنا
صحتها من كل راحة ،
وتأنيب بها عن كل سكون ،
وتشاداتها في كل مهيب
ومناهة ، وليس أدعى إلى
الرضى - في هذه الحال - من
المودة إلى ظلال الطمأنينة ،
حيث تستقر النفس ، ويسكن
الجنان وتثبت الخطى على
الطريق

وإلى هذه الطريق يسلك
بنا هذا الكتاب ، ويصف لنا
العلاج الناجع ، فيفور
بالنفس المطمئنة ، ألا بدكر
الله تظلمن القلوب